الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي الموسومة بـ:

النص الساخر في الأدب العباسي ابن الرومي أنموذجا

إعداد الطالبتين:
- بلفضيل خيرة
- بوقلال منصورية

إشراف:
أ. بوزيد نجاة

السنة الجامعية: 2018 – 2019

بسم الله الرحمن الرحیم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي له الأمر من قبل ومن بعد على ما أنعم

علينا من إتمام هذه الدراسة حمدا كثيرا

ملئ السموات والأرض والصلاة والسلام على نبيّه المصطفى صلى الله

عليه وسلم

وبـــعـــــد:

إنه لا يشرفنا أن أتقد بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذة "بوزيد

نجاة"

ونسأل الله عز وجل أن يجزيها غير الجزاء وأن يبارك في عمرها وصحتاه

وعطائها

وشكر موصول إلى كل الأساتذة في جامعة عبد الحميد بن باديس

"قسم الأدب العربي" جزاهم الله خيرا وأدامهم علما ومعرفة

إهـــــداء

بسم الله الرحمان الرحيم:

{وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنُون}

صدق الله العظيم

نهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الغاليين حفظهما الله لنا

اللّذان سهرا على تعليمنا في إتمام هذا العمل من قريب أو من بعيد،

وإلى كل الأقارب وإلى كل الأصدقاء

والأحباب من دون استثناء

وإلى كل الأساتذة الكرام ،

وإلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره

بوقلال منصورية

بلفضيل خيرة

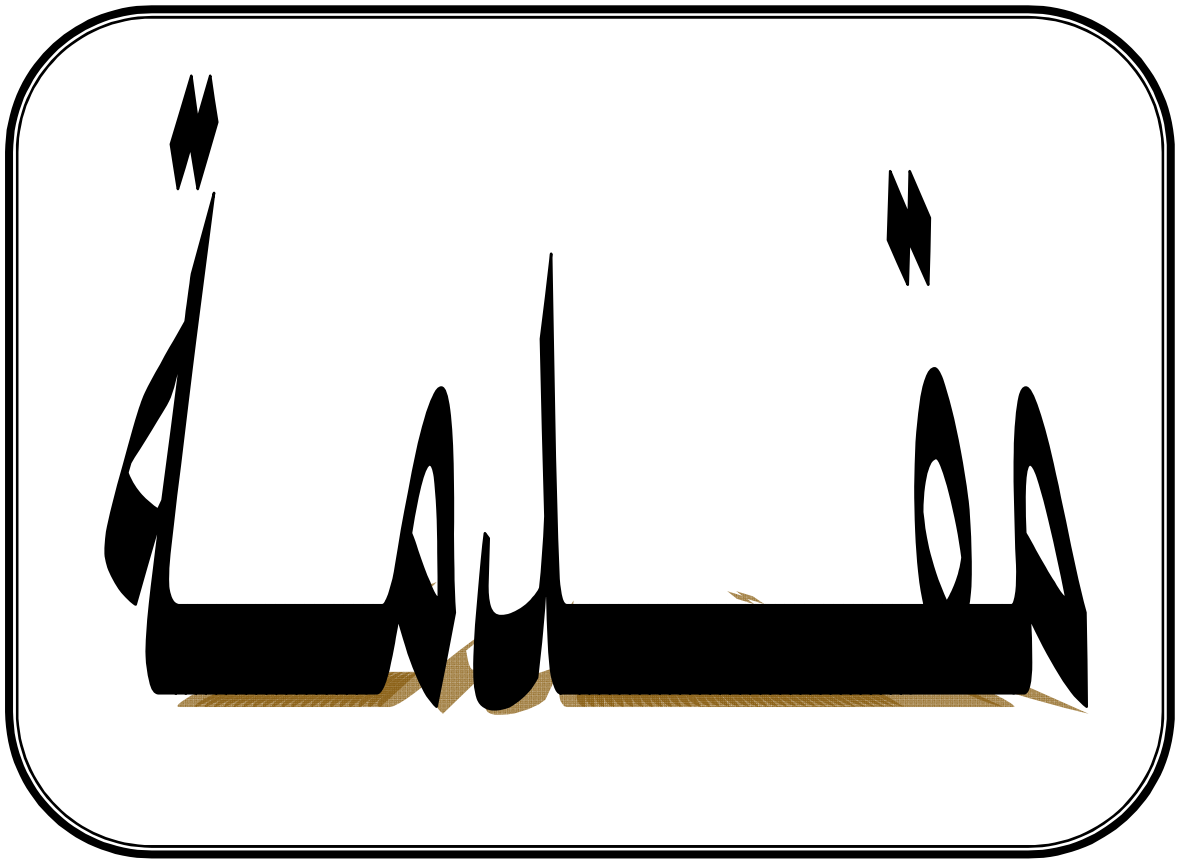
مقدمة

يعد العصر العباسي أزهى عصور الحضارة العربيّة، وأكثرها تألّقًا فقد عرف تطورا وتجديدا في مختلف مجالاته خاصة في الأدب والشعر، إذ كانت هذه الفترة بداية فعلية لظهور الأدب الساخر، حيث توضحت فيه معالم وقواعد السّخرية، وظهرت أجيال من الشعراء والكتاب والعلماء في مختلف الثقافات أسهموا في التعبير عن حضارة وروح العصر، وحاولوا بإنتاجهم الشعري والنثري أن ينفذوا من أعماق هذه الحضارة ويواكبوا مسيرتها ويسجلوا أحداثها، فكان من الطبيعي أن يتطوّر شعرهم وأدبهم بتطوّر حضارتهم ومن بين هؤلاء الشعراء "ابن الرومي" الذي تميّز شعره بالسخريّة، فجعلها أسلوبه الخاص به.

من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في معرفة فنّ السخريّة في شعر ابن الرومي، وخصوصية تجسيد السّاخر.

وبناءًا على هذا نطرح المشكلة البحثية المتمثلة فيما يلي:

- هل لشعر ابن الرومي خصوصية تجعله ينفرد بها عن باقي شعراء عصره؟.
- وما مرد هذه السخريّة اللاّذعة التي تجعل شعره قاسيًا ومتطرفًا.

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي في تعاملنا مع النصوص الشعرية.

وكسائر البحوث الأكاديمية تطلّب منّا تقسيم هذا الطرح على النحو الآتي:

مقدمة: التعرف على موضوع البحث وأسباب اختياره متبوعة بإشكالية.

مدخل: عنوناه بالحركة الأدبية في العصر العباسي، حددنا من خلاله ملامح الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية للعصر العباسي ومظاهر التجديد الشعري من جانب الأغراض والقصيدة، ثم يليه فصلان، فصل نظري بعنوان الأدب السّاخر النشأة والتطوّر، تناولنا فيه نشأة السخريّة ومفهوم السخريّة لغة واصطلاحًا، وفنون الأدب السّاخر، ثم ذكرنا أسبابها ودوافعها، ووظائفها.

أما الفصل الثاني: فعنوناه بـ السّخريّة في شعر ابن الرّومي وتضمن نبذة عن حياته وأهم أغراضه الشعريّة، وأهم خصائص الهجاء عنده، وأقسام الهجاء الكاريكاتيري السّاخر عند ابن الرّومي وفي النّهاية تناولنا فلسفة السخريّة عند ابن الرّومي.

وقد أنهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا.

أما المصادر التي كانت سندا لنا في هذا البحث هي:

- تاريخ الأدب العربي العصر العبّاسي الأول، شوقي ضيف.
- دراسات في الشعر العباسي صلاح مهدي الزبيدي.
- ديوان ابن الرومي، أحمد حسن بسج.

رغم وجود العديد من المصادر والمراجع التي تخدم هذا الموضوع إلا أنّ هناك العديد من الصعوبات التي اعترضت طريقنا هي تشعب الموضوع، الضغط النفسي الذي يواجه الطالب أثناء مرحلته الأخيرة من التخرج، وكذلك ما شهدته البلاد من اضطرابات سياسية.

وفي الأخير نحمد الله سبحانه الذي منحنا الصبر والإرادة لإنجاز هذا البحث، كما نتقدم ببالغ الشكر والعرفان لأستاذتنا المشرفة "بوزيد نجاة" التي لم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها القيّمة.

ونتمنّى أن يكون بحثنا هذا قد أضاف شيئا جديدًا ومهمًا لمكتبة القسم، فإن أخطأنا فمن أنفسنا، وإن أحسنا فمن الله وجزاكم الله خير الجزاء.

مدخل

يعتبر العصر العباسي من أكثر العصور الإسلامية ازدهارا للحركة الأدبية والثقافية من خلال تدخلات حضارية وفكرية وتاريخية مما انعكس على كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية.

أ- الحياة السياسية:

بدأ التاريخ السياسي للعصر العباسي سنة 132هـ/ 749م بسقوط الدولة الأموية في الشام وقيام دولة بني العباس في الكوفة والعراق واستمر إلى سقوط بغداد في يد التتار سنة 656هـ/ 1258م ويقسم بعض المؤرخين هذا العصر إلى ثلاثة عصور جاعلين كل مرحلهُ عصرية خاصًا، وهذه العصور العباسية هي: العصر العباسي الأول الذي بدأ عام 132هـ وينتهي بدخول البوهيين بغداد عام 334هـ، أما العصر الثالث فهو الذي يبدأ عام 334هـ، وينتهي عام 656هـ، الذي شهد زوال الخلافة العباسية.[1]

يبقى في هذا التقسيم العصر العباسي الأول بنفس الاسم، أما العصر الثاني فيقف به عند سنة 334هـ وهي السنة التي استولى فيها بنو بويه على بغداد والتي أصبحت الخلافة العباسية منذ تاريخها اسمية فقط، ويمتد العصر العباسي الثالث إلى استيلاء التتار على بغداد.

وقد قسم بعض المؤرخين هذا العصر الثالث إلى قسمين، فيقف بالقسم الأول عند دخول السلاجقة بغداد 447هـ- 1055م، ويستقل القسم الثاني أو الرابع ببقية العصر.

وباستيلاء التتار على بغداد يبدأ العصر الرابع ويستمر إلى نزول الحملة الفرنسية بمصر سنة 1213هـ- 1798م.[2]

ب- الحياة الاجتماعية:

لم يكن المجتمع العباسي طبقة واحدة، يعيش أفرادها الظروف الواحدة ويمتلكون الإمكانات نفسها، إنما كان فيه الحاكم والمحكوم، والغني والفقير والموسر والمعسر، وتلك طبيعة معظم المجتمعات أن تباين أفرادها في مراتب الحياة ويختلفوا في الأدوار والمهام، إذ يستحيل على المواطنين أن يكونوا في درجة واحدة، فوظائف الدولة أية دولة لفرض وجود

[1] مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، 2008، ص11.

[2] شوقي ضيف، أحمد عبد السلام، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، د.ت، د.ط، ص14.

موظفين في درجات متفاوتة، وهذا الأخير بما فيه من خطورة الأمر عندها يتحول المجتمع إلى بنية طبقية يأكل فيها القوي حق الضعيف، ويأخذ الكبير دور الصغير، ويتجاوز الحاكم صلاحيته، فقد ضم المجتمع العباسي فئات وأجناس شتى عاش كل منها في مستوى معيشي معين، فكان فيه العربي والفارسي والتركي والرومي والزنجي، وتعددت بذلك اللّغات المحكية، وكان لابد في هذا المجتمع المتعدد الجنسيات من حصول تباين واختلاف في الأهداف والاتجاهات، والميول والتطلعات، حتى بين أفراد الجنس الواحد، ومن هنا منشأ الصراع وتشوب الأزمات.[1]

كان المجتمع العباسي يتوزع على ثلاث طبقات أساسية: طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والولاة، ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار ورجال الدولة، وطبقة وسطى: تشتمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع، ثم طبقة دنيا: تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الخرف الصغيرة، ويأتي في إثر تلك الطبقات أهل الذمة.[2]

كانت الطبقة الأولى تغرق في النعيم يتقدمها الخلفاء وكانت تحيى إليهم أموال الخراج من سواد العراق وأقصى الدولة وأدانيها غير ما كان يحي على الواردات والصادرات، وكتان الوزراء يعيشون في هذا النعيم نفسه لما كانوا يأخذونه من رواتب ضخمة وإقطاعات وما كانوا يختلسونه من أموال الدولة.[3]

- **ملامح المجتمع العباسي:**

- **الشعوبية والشعوبيون:**

أدّى التعصّب ضد الشعوب غير العربية الساكنة في إطار الدولة الإسلامية في العصر الأموي إلى حركة تدعو إلى المساواة بين العرب وغيرهم من الأجناس كالفرس والروم ممن دخلوا الدين الإسلامي وذلك عملا بنظرية الإسلام التي لا تعترف بالتمييز العنصري والتفوق العرقي، ولكن هذه الحركة ما لبثت أن تطرفت ودعت إلى مخاطبة العرب، لأن الموالي أصبحوا في الدولة العباسية الجديدة ساسة وقادة ورجال حرب وتسلموا المناصب الكبيرة وجمعوا في أيديهم المال والسلطة، فظهرت أسر كانت تدير سياسة الدولة كأسرة

[1] حسن جعفر نو الدين، شعر التمرد في الأعصر العباسية، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2003م، ص67.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ط12، د.ت، ص53.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ص54.

البرامكة في عهد "أبي جعفر المنصور" و"المهدي الرشيد" وبني سهل، في عهد المأمون، وأخذت هذه الأسر الأموال والمناصب على أبناء الفرس، فإذا يحركوا المساواة مع العرب تجد لها قوة وتأيدا من الوزراء ورجال الدولة فنشطت هذه الحركة. وكان من نتائجها أنها أدّت إلى تعريف الجماعة الإسلامية، فمثلها نظرة الأمويين في التمييز بين سواهم الرعية بالدولة الأموية، كذلك أضرت الشعوبية بوحدة العرب، ودمجهم بالجماعة الإسلامية، ففرقت كلمة المسلمين وعادة النعرات العنصرية لغير العرب. فظهرت بسبب ذلك دويلات استقلت عن الحكم العربي الذي كانت تمثله الأسرة العباسية.[1]

تمثل الشعوبية نزعة كانت تقوم على مفاخرة تلك الشعوب، وفي مقدمتها الشعب الفارسي، للعرب مفاخرة تستمد من حضارتهم، وما كان العرب فيه من بداوة، وحياة خشنة غليظة، نادى الإسلام بقوة لعدم الفوارق العصبية للقبائل، والفوارق الجنسية للشعوب حتى يسود الوئام بين أفراد الأمة الإسلامية، فلا عربي ولا عجمي إنما هي أمة واحدة يتساوى أفرادها في جميع الحقوق، يقول جل شأنه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.[2]

تعتبر الشعوبية حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب، وكان العراق هو المسرح الذي ظهرت عليه، وترعرعت فيه، لأنّه كان ملتقى العنصر العربي الغالب بالعنصر الفارسي المغلوب، وهي حركة بدأت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري.[3]

إن هذه النزعة التي تحاول مساواة العرب أو تحقيرهم لم تتخذ شكلا قويا واضحا أن يطلق على معتنقيه اسم الشعوبية إلا في العصر العباسي أما قبل ذلك فقد كانت نزعة خفية لا تستطيع الظهور، وإذا ظهرت أخمدت والحاجة إلى الاسم إنما تكون بعد أن يتخذ المبدأ شكل عقيدة عامة أو حزباً الثاني:

إنّا لم نرى من أطلق هذا الاسم على هذه النزعة في العصر الأموي وفي ذلك يقول الأصفهاني: «إن إسماعيل كان شعوبيا ولكن من الواضح أن الأصفهاني وهو قد عاب

[1] صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1430هـ- 2009م، ص 16-17.

[2] سورة الحجرات، الآية، 13.

[3] عطوان حسين، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص149.

إسماعيل بالاسم الذي يستحقه لما رفع شأن العجم، وتعني شعره في ذلك أمام هشام بن عبد الملك وليس المعنى أنّ إسماعيل بن يسار عرف بذلك الاسم في عصره».[1]

- **المجون والزندقة:**

ليس معنى الحديث عن الزندقة والمجون أن المجتمع العباسي كان مجتمعا منحلا أسلم نفسه للإلحاد والشهوات، فالإلحاد والزندقة إنما شاعا في طبقة محدودة من الناس كان جمهورها من الفرس، فكانت موجهة المجون أكثر حدة، لكنها لم تكن عامة في المجتمع بل كانت تخص المترفين ومن حولهم من الشعراء والمغنيين، وأما عامة الشعب لم تكن تعرف زندقة ولا مجونًا، بل كان كثير منها يعيش في البؤس.[2]

ورث المجتمع العباسي اللهو والمجون والزندقة من المجتمع السياسي الفارسي، ساعد على ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة، فقد مضى الفرس يعبون الخمر عبًا ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة، ومن عايشوهم حتى أصبح الإدمان عليها ظاهرة عامة، من أسباب انتشارها اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذة كنبيذ التمرد.[3]

- **الحضارة والترف والملاهي:**

لقد تفنّى الخلفاء والوزراء في بناء القصور الباذخة التي كلفت الدولة ملايين الدنانير ويكفي لنصور ما كان في عصره من بذخ وترف شديد وطبيعي أن يشيع في هذا الجو الزاخر بالترف التأنق في الملبس والثياب، وقد عمّ حينئذ ببغداد لبس الأزياء الفارسية، ومن أهم الجوانب التي يتضح فيها بذخ الطبقة المترفة مطاعمها ومشاربها، فقد طعموا وشربوا في أواني الذهب والفضة وصحاف الصيني المزخرفة والصحاف الزجاجية المنقوشة.[4]

ج- الحياة الفكرية:

اتسم العصر العباسي بثروة فكرية عارمة تمثّلت بالدّراسات والعلوم والآداب الجمّة التي ظهرت في مرحلة ذهبيّة، كان لها كبير الأثر في تنمية الأدب وإغناء التراث العربي وتطويره، والملاحظ أن العصر العباسي كان غنيا بالأدباء والشعراء على اختلاف مراحله،

[1] أمين أحمد، ضحى الإسلام، مكتبة الأسرة، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص74.
[2] محمد زغلول سلام، الأدب في العصر العباسيين، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص83.
[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص65.
[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط12، ص 49-52.

وهذا نشا عن الحياة الثقافية التي ازدهرت سواء في كثرة المدارس والعلوم والحلقات التدريسية، أو في تعدّد وكثرة المؤلفين وتضاعف النتاج وانتشار الثقافة.[1]

أما الحياة الفكرية فقد عرفت ازدهارا كبيرا، وتلاقت في الحواضر الإسلامية ثقافات الشعوب التي دخلت الإسلام، وراح الخلفاء يشجعون الحركة العلمية ويرعونها ويبالغون في إكرام العلماء والأدباء وتقريبهم إليهم، وأصبح العلم والأدب أداة المناصب العالية، والجاه والنفوذ ويتنافس العظماء في تكريم النبغاء وإنشاد دور العلم وتمويل حركة الترجمة إلى العربية، وإن كانت الثقافة العربية هي الذائعة! وقوامها علوم الدين واللغة والأدب، فإن الثقافة الفارسية أوجدت لنفسها مكانا إلى جانبها نظرا لنفوذ العنصر الفارسي، كما دخلت الثقافة اليونانية على الفكر الإسلامي باختلاط العرب باليونان وبخاصة في الشام. حيث راح الخلفاء يشجعون على ترجمة كتب الطب والفلسفة وكان على رأسهم المنصور ثم الرشيد وتلاه المأمون.

كما اتصلت الثقافة الهندية بالفكر العربي، وقد تفاعلت هذه الثقافات في العاصمة بغداد، وتعددت مراكز الحياة العقلية في هذا العصر، فنشطت الدراسات الدينية في مصر وتفوقت الشام في الشعر والأدب.[2]

وكان للعراق الصدارة في الفلسفة والعلم واللغة، وأصبحت بغداد والبصرة من أهم مراكز العلمي، واشتهرت بلخ وأصفهان بالثقافة.

فقد كان العصر حافلا بالعلوم والفلاسفة والمفكرين والشعراء والعلماء والكتاب، وصارت العلوم المترجمة شرطًا في تكوين ثقافة الكاتب والأديب.[3]

في البيئة العباس وما تعنيه من تجدد في الحياة وانفتاح على الدنيا، فالناس تتسابق فيما يجني العيش، وأسباب النعيم وتتنافس في مجالات العلم والمعرفة، ثم تتوزّع جماعات، تمضي كل واحدة منها إلى أغراضها وأهدافها، فتتعدد المفاهيم وتختلف الاتجاهات وينشط المجتمع العربي العباسي في صراع خالق مجدد، من خلال نشاط حركة التنقل وتعدد

[1] الجاحظ عمرو بن بحر محبوب الكناني بالولاء الليثي أو عثمان، البخلاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1429هـ، ص5.
[2] ابن قتيبة، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ- 1988م، ص10.
[3] المرجع السابق، ابن قتيبة، أدب الكتاب، ص11.

المذاهب الدينية فتولد فيها حركة الاعتزال وتنشر المدارس والمساجد وتخصب الحياة وإذا هي مجالات للعمل والعلم، وازدهارها الحضارة.[1]

مظاهر التجديد في الشعر العباسي:

شهد العصر العباسي، كما رأينا، أكبر نهضة ثقافية في تاريخ الحضارة الإسلامية، بتأثير العكوف على الثقافات المختلفة (فارسية، وهندية، ويونانية)، وترجمتها، وانصهارها مع الثقافة العربية في بوتقة الإسلام الذي أصبح حضارة جديدة لتلك الثقافات.

وقد تأثر الشعر بهذه النهضة، فتطور تطورا ملحوظا شمل الكثير من جوانبه، إلا أن تطوره لا يتفق والنهضة الشاملة التي أحاطت به، ولا يتلاءم مع الروافد الثقافية التي عب منها الشعراء دور الجنسيات المختلفة.[2]

ظل الشعر العباسي يدور في فلك الأغراض الشعرية المعروفة، مع تطوير فرصته ظروف الحياة، ومع تطرق لبعض الأغراض الشعرية:

أ- تطور الأغراض القديمة:

1- المدح:

ظل المدح على رأس أغراض الشعر التي اتجه إليها الشعراء في هذا العصر، فمادام هناك قادر على المنح، ومحتاج إلى العطاء، فلابد أن يوجد المدح. ولذلك أفتن الشعراء في الصفات التي يُضفونها على ممدوحهم وجهدوا في استنباط المعاني الطريفة في السماحة والكرم والحزن والشجاعة، وعلو الهمة، وما إلى ذلك من صفات تمثل الشخصية الكاملة، بغض النظر عن وجود هذه الصفات، أو بعضها في الممدوح أو عدم وجودها، لأن المدحة في نظر الشاعر بضاعة يُزجيها إلى الممدوح، وهو ينتظر ثمنا مجزيا لها.[3]

ومن هنا ألزم نفسه بضرورة الافتتان في تجويد بضاعته، وحسن عرضها حتى تنال القبول الذي يريده لها، وتأتى بالثمن الذي يتوقعه منها. ورغبة من الشاعر في إضفاء لمسلمات التجديد على مدحته، كان لا بد أن يتطرق إلى الأحداث التي عاصرت الممدوح، وبخاصة تلك التي أسهم فيها، ومن هذه الناحية أصبح شعر المدح، يقوم بما تقوم به الجريدة

[1] فاروق سعد، مع بخلاء الجاحظ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1413هـ- 1992م، ص01.
[2] محمد عبد العزيز الموافي، حركة التجديد في الشعر العباسي، دار غريب، القاهرة، ط6، د.ت، ص72.
[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت، ص 160-161.

في العصر الحديث، واكتسب قيمة تاريخية فوق قيمته الأدبية، ومن هنا كانت كثرة الاستشهاد به المتن التاريخية.

ومن أبرز الشعراء الذي تتضح فيه هذه الظاهرة، الشعر الذي مدح به الشعراء الأبطال والقواد الذين قادوا الجيوش الإسلامية في معاركها المظفرة ضد الأعداء.[1]

فقد أشادوا إشادة رائعة بكل معركة خاضوا غمارها، وافتتنوا في رسم الصورة المثالية للقائد الذي يرمي بنفسه أمام جنوده في المعارك فيلهب حماسهم ويدفعهم دفعا إلى البذل والفداء. وبذلك لم تعد قصائدهم مديحًا فحسب، بل أصبحت تاريخًا أدبيًا لما وقع في العصر من أحداث، وكتب التراث مليئة بمثل هذه القصائد، ولعل من أبرزها بائية أبي تمام في فتح عمورية:

السّيفُ أصدقُ أَنباءً من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ
فتحٌ تَفتّحُ أبوابُ السماءِ لـــــهُ وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القشُبِ
تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقـــــم لله مُرتقــبٍ في الله مُرتغبِ

تلك القصيدة التي تكاد تكون ملحمة للبطولة، وتجسيدًا للقائد الذي يهب نفسه فداءً أُمته.[2]

ولعل من أهم ما لحق المدح من تطور في العصر العباسي أنه صار لونًا من الأدب السياسي فأحيى هذا الأدب الذي ازدهر إبّان العهد الأموي خلال احترام الصراع بين المذاهب السياسية المختلفة، وكان ذلك استجابة للتطورات الجذرية التي حدثت، حيث لم ينظر الخلفاء العباسيون إلى أنفسهم على أنهم مجرد حكام فحسب، بل حاولوا أن يُرسّخوا في الأذهان أنهم أئمة المسلمين، وأن يُضفوا أحقيتهم بالخلافة نوعًا من القداسة، ساعد عليها أنها صادفت موقعا حسنا من قلوب المسلمين في شرقي الدولة الإسلامية، إنها تتفق مع سالف معتقداتهم التي تجعل الحاكم ظلا لله في الأرض، ولذلك حرص هؤلاء الخلفاء على امتلاء بلاطهم بالشعراء الذين وجدوا في التنعم بخيراته كل ما يدعوهم إلى دعمه وحمايته، كما حرصوا على إشعال نار التنافس فيما بينهم وبخاصة خلفاء العصر العباسي الأول،

[1] المرجع السابق، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص165.
[2] ابن المعتز: طبقات الشعراء، تح، عبد الستار فراج، دار المعارف ، القاهرة، ط3، 1976، ص 172-176.

الذين كانوا على بصر بالشعر ومعرفة بفنونه نذكر منهم، المنصور، والرشيد حّفاظاً للشعر.[1]

أما في العصر العباسي الثاني فإننا نجد قصيدة المديح تتحول إلى وثيقة تاريخية في قالب أناشيد انتصارات مخلدة لبطولات الخلفاء والأمراء، ولعلها تمثل نموذجا رائعا لأدب الجهاد، ومن ذلك قول البحتري في والي أرمينية يوسف بن محمد الثغري بعد أن أخمد ما بها من ثورات متتالية:

هوَ المَلِكُ المرجُو للدِّينِ والعــلاَ فَلِلَّهِ تَقْواهُ وَلِلمَـــجْدِ سَائِـــرُهُ

لَهُ البأسُ يُخشىَ والسّماحة ترتجي فَلا الغَيثُ ثانيةً وَلاَ اللَّيلُ عَاشَرهُ

كَسَرْتَهُمْ كسَرْتَ الزُّجَاجَةَ حـــِدةً وَمِن يجبر الوهي الذي أنتَ كَاسِرَهُ[2]

2- الهجاء:

لا يسعنا المجال للحديث عن جميع مظاهر الهجاء التي عرفها العصر العباسي وإنما سنكتفي بالتركيز على ضرب جديد في الهجاء هو ذلك الرسم الكاريكاتوري الضاحك الساخر الذي أصبح هواية وميزة تكاد لا تغادر كثيرا من شعراء العصر العباسي تكون أحيانا طلبا للهو والمزاح وأخرى تكون ناتجة عن رفض للواقع ونقد لمظاهر الفساد، وثالثة عن حقد دفين ولعنات كامنة، بل إننا أصبحنا نجد في العصر العباسي ميلا عاما إلى الفكاهة والتندر والرغبة في إضحاك الآخر وإشراكه في الأمر،وعرف العصر العباسي قفزة واسعة في الوصف الكاريكاتوري بعيدا عن تعقيدات الحضارة وزخرفها وربما عددنا بشار بن برد من أوائل المؤسسين لهذا الاتجاه.[3]

لعل أبرز شاعر مثل هذا الرسم الكاريكاتوري هو ابن الرومي بدوافع نفسية واجتماعية واقتصادية وكاد يتخصص فيه إلى جانب شعراء آخرين في مقدمتهم بشار بن برد الذي كانت تدفعه إلى ذلك شعوبيته حينا وعماه في أغلب الأحيان، وإن غلب على شعره الهجائي الفحش والإقذاع فإننا نجد في بعض قصائده شيئا من السخرية والرسم

[1] انظر: السباعي بيومي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، طبعة العلوم، القاهرة، 1931م، ص10

[2] انظر: أبو تمام، الديوان، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ- 2003، ص 18-24.

[3] انظر: إيليا الحاوي، تطور فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، لبنان، د.ت، ص439-620.

الكاريكاتوري المضحك من ذلك سجلها في وصف نعجة هزيلة أهداها له فتى من بني منقر وقد كان يهدي له كل عيد أضحى نعجة سمينة مكتنزة يقول ساخرًا:

وهبتَ لنَا يا فتى مَنـْـــقَرُ وَعَجّلْ وَأَكْـرَمَهُـــــمْ أولاَ

وأبْسَطُهمْ راحة في النــدَى وَأرْفَعَهُمْ ذروةً فيِ العُلاَ

عَجوزًا قدْ أَوردَهَا عُمرهَا وأسكنها الدّهْر دَارَ البَلَى

سُلوحًا تَوهَّمتُ أنّ الرعـَا ءِ سقوْهَا – لِيسهلهَا- الحَنظِ

فلة تأكل الزّبد بالنرسياَ ن وتدمج بالمسك والمنْدَلاَ[1]

وغير بعيد يعيد هؤلاء الشاعر أبو نواس، فله صورة هجائية تنحو منحى الفكاهة والضحك، من ذلك قوله في قدر بني رقاش، وقد اشتهروا بالبخل، وآلى هو ألا يكف عنهم سهام سخريته:

قدر الرقاشي مضروب بها المثلِ في كل شيء خَلاَ النِّيرَانِ تبَتدلَ

تشكو إلى قدر جارات إذا التقتاَ اليوم لي سنة مـَـا مسني بـَـللْ

ويقوا في القدر نفسها في صورة كنائية لا تختلف عن سابقتها، مقارنا بينها وبين قدور سائر الناس، فبينما تظل هي زهراء صافية بعيدة عن أذى النار لبخل أصحابها، يصيب قدور الناس جميعا سواء النار لأنها تبذل فيما تبذل فيه:

رأيت قدور الناس سودا من الصِّلىَ وقَدر الرَّقاشيينَ زَهْرَاءُ كَالبدرِ

تبيّنَ في مِخْراشها أن عـُـــودَهَا سليم صحيح لم يصبه أذى الجمرِ

ويمضي في ضحكة وإضحاكه مع الرقاشيين وفي توليد المعاني من فكرة واحدة وهي البخل، فيرى أن سبب موتهم الوحيد من الجوع بخلا.[2]

وقد عرف فن الهجاء في العصر العباسي بدوره تطورا ملحوظا، فبعد أن كان الناس يتنازعون تنازعا سياسيا قبليا في العصر الأموي، أصبحوا يتنازعون تنازعا فكريا حضاريا اجتماعيا، ولعل أبرز ما يميز هجاء هذا العصر هو ذلك الوصف الساخر والرسم الكاريكاتوري الماسخ، المضحك سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي كما عرف مجالا جديدا فقي الهجاء يمكن تسميته بالنقد الاجتماعي، عكف الشعراء فيه على علاج أدواء

[1] انظر: بشار بلن برد، الديوان، شرح: مهدى محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص617.

[2] أبو نواس، الديوان، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1432هـ- 2003م، ص399.

المجتمع، وقد برز في هذا النوع من الهجاء ابن الرومي والمتنبي، وهناك ظاهرة فنية أخرى تميز هذا الفن في غلبة الوصف عليه حتى لتنقلب جل قصائد الهجاء إلى صور ماثلة في مخيلة القارئ.[1]

3- الوصف:

تطور شعر الوصف تطورا ملحوظا اختلف فيه كثيرا عن الوصف الجاهلي والأموي، نظرا لاختلاف منابعه الحسية مما تقع عليه العين من مظاهر الطبيعة وآثار الحضارات المختلفة، والمعنوية، مما تفتحت عليه العقول من مدركات جديدة.[2]

كان العصر العباسي أزهى عصور الحضارة العربية، إذ جرى احتكاك العقل العربي بمدنيات البلاد التي امتد إليها سلطانه، وباتت حركة الترجمة تحمل إلى العرب تراث الأمم والشعوب، وبدأ العربي في وعي التفتح الجديد يتطلع إلى العلوم تطلع المتشوق على المعرفة، والظمآن إلى اكتناء حقائقها.[3]

وكان لتأثير الثقافات المختلفة التي اتخذت ذهن الشاعر العربي وفقع كبير على مجرى الشعر في العصر العباسي، ومن هذه الثقافات: الهندية، الفارسية، واليونانية، وكان للثقافة الهندية واليونانية تأثير على الشعر وألفاظه، وتلوينه بمختلف الألوان، والتشبيهات والصور وجمالها وكذلك في الحكمة وغير ذلك.[4]

نجد الوصف يهتم بمظاهر الحياة وبجانبها المادي بالدرجة الأولى ولكن بطريقة حيوية تضفي على تلك الجمادات من الحركة والحيوية والنشاط ما يجعلها حية، ولعل أهم أساليب الشعراء في ذلك التشخيص الذي يرتفع بالموصوفات إلى درجة الآدميين، وفي ذلك يقول أبي عيينة في وصف قصر "أوس" بالبصرة وقصته مع باقي القصور، يقول:

فيا حسن ذك القصر قصْرا ونزهةٍ ويافيحُ سهلٍ غير وعرٍ ولا ضنكٍ

بغرس كأبكار الجواري وتربةٍ كأنْ تراها ماء وردَ على مسكٍ

[1] أحلام الزعيم، قراءات في الأدب العباسي الحركة الشعرية، مطبعة الاتحاد، جامعة دمشق 1991م- 1411هـ، ص87.
[2] محمد عبد العزيز الموافي، حركة التجديد في الشعر العباسي، ص130.
[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيلاروتن لبنان، 1986،ص522.
[4] رمضان عبد الغني العطار، دراسات في تاريخ الشعر العباسي ونصوصه، مكتبة الآداب، القاهرة، بمصر، 18 د.ط، ص135.

كأن قصور الأرض ينظُرن حولهِ إلى ملكٍ موفٍ علىَ منبرِ الملكِ[1]

ب- التجديد في القصيدة العباسية:

عرف العصر العباسي تطورا كبيرا في مختلف الجوانب مقارنة مع العصر الأموي، وأخذ المجتمع العباسي يبتعد شيئا فشيء عن سابقه خاصة فيها يتعلق بالشعراء فقد تناقضت الرابطة العاطفية بين شعراء العصر العباسي الجدد وبين معالم الحياة العربية الجاهلية[2]، وعليه فقد ظهرت فئة جديدة تسمى بالمولدين تميزوا بالتجديد والابتعاد عن مظاهر القصيدة العربية، ومن أهم مظاهر التجديد التي مست القصيدة في العصر نذكر:

1- الابتعاد عن القصائد المطولة:

عرف الشعر العربي القديم بالقصيدة المطولة خاصة في العصر الجاهلي الذي أصبح نموذجا، يؤخذ به، إلا أن القصيدة في العصر العباسي "عرفت تغيير كبيرا في بنائها والتحام أجزائها إذا انتهت القصائد الطويلة بما تحوي من أغراض كثيرة وكان نجاح الشاعر الجاهلي يتوقف على براعته في الانتقال من غرض إلى آخر دون أن يحس السامع بهذه النقلة ويعكس ذلك، كانت أشعار المحدثين في معظمها مقاطع قصيرة تحوي كم منها غرض واحد.[3]

لم يعد البيت الشعري كما كان في الشعر القديم وحدة منفصلة، كما اعتبر الشعراء بأن القافية القديمة ثقيلة تحرمهم من الانطلاق بخيالهم وأفكارهم، كان العرب قديما يلتقون في سوق عكاظ بخلاف العصر العباسي الذي انعدمت فيه هذه الأماكن، كان الشاعر القديم ينتقل في قصيدته من فكرة إلى أخرى وفي المقابل نجد الشاعر العباسي يحدد قصيدته بفكرة واحدة ومعينة تأخذ أبيات محدودة.[4]

2- التطور في مقدمة القصيدة العباسية:

لعب التطور الحضاري والاجتماعي دورا كبيرا في نفسية الشاعر، فقد أدى به هذا إلى الابتعاد عن ذكر الأطلال ووصفها وكذا البكاء عليا، ومن جهة أخرى مجون هؤلاء الشعراء أغلبهم يعتبر من المولدين الذين لا تربطهم أي علاقة مع البيئة العربية في

[1] ابن المعتز، الديوان، تح: ودراسة محمد بديع شريف، دار المعارف، مصر، ص262.
[2] أحلام الزعيم، قراءات في الأدب العباسي، ص88.
[3] أبو السعود سلامة أبو السعود، الأدب العربي في مختلف العصور، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2007، ص130.
[4] الربعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص30.

الجاهلية، وبالتالي غير معنيين بوصف وكتابة وتصوير أشياء غير موجودة في المجتمع الذي يعيشون فيه.

والذي ازدهر وتطور في مختلف نواحي الحياة الخاصة الاجتماعية والثقافية بما في ذلك من قصور فاخرة ومدن راقية، ورياض.....يقول أبو نواس في هذا الجانب:

مالي بدارٍ خلتْ مِنْ أهْلِهَا شَغل ولا شَجَانيِ لَهاَ شَخْصٍ ولا بطلِ

ولا رُسُومٌ ولاَ أَبكيِ لِمنـــزلَةٍ الأهلِ فيهَا وَللجِيرانِ مُنتقِلِ

بيداءٌ مُقْفَرَةً يَومًا فانعتهاَ ولاَ سَرى بي فأحْكِمُهُ بهَا جُمَلِ [1]

وقبل أبو نواس العديد من الشعراء إلى الابتعاد عن هذا النوع من المقدمات ناصحا إياهم بأن هذه الديار والأطلال الذين يقفون عندها لا يمكن أن تعود كما كانت، ويدعوهم إلى التأقلم مع الوضع الجديد، فقد استجاب العديد لهذه الدعوة، يقول أبو نواس:

أنسَى رَسْمَ الدِّيارِ ثم الطلولاَ واهْجُرْ الرّبْعَ دَارِسًا ومحيلاَ

هل رأيتَ الدّيارَ ردت جواباً وَأجابتْ لذِي السُّؤالِ سؤالاَ

وأشربنها كأنَّهاَ عين ديكِ يطردَ الهمَّ طَعمًا والغَليلاَ [2]

3- تغيير تركيب وبناء القصيدة:

عرفت القصيدة العربية في الجاهلية بأنها تعتمد على وحدة البيت بالدرجة الأولى وبأنها تستغرق في غالب الأحيان غرضا شعريا واحدا من بداية القصيدة إلى نهايتها، خاصة تلك القصائد المطولة، قامت القصيدة العباسية على وحدة الموضوع ولم يعد البيت فيها وحدة منفصلة قائمة بذاتها وإنما أصبح جزء من الكل، دون أن يصيب معناها خلل واضح.[3]

وبالتالي إن العديد من الشعراء يبتعدون شيئا فشيئا عن القصيدة مستفيدين في ذلك من تجاربهم في الشعر، ومعتمدين كذلك على الواقع الذي يعيشون فيه.

إذا كان العصر العباسي عصر النهضة الأدبية والعلمية فإن ذلك خضع لأحداث سياسية واجتماعية وفكرية استطاعت أن توفر مجالا رحبًا للشعر.

---

[1] أبو نواس، الديوان، تح: محمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2003، ص529.

[2] المصدر نفسه، ص40.

[3] ينظر: ربيعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، ص26.

الفصل الأول

الأدب السّاخر النشأة والتطوّر

1- نشأة السخريّة وتطوّرها.

2- تعريف السخريّة لغة واصطلاحا.

3- فنون الأدب السّاخر.

4- دوافع وأنواع السخريّة.

5- أساليب السخريّة ووظائفها.

إن الأدب الساخر لا يعني الكتابة المضحكة، ولا يعني الضحك من أجل الضحك بل يحمل في طياته تهريجا وسخافة، بل هو في الغالب كوميديا سوداء تعكس أوجاع الإنسان السياسية والاجتماعية والفكرية وغيرها، يقدمها الكاتب أو الشاعر في قوالب نصية ساخرة ليرسم البسمة على الوجه، ويشتمل هذا الأدب على كافة أنواع الإبداع الأدبي الذي يطرح موضوعاته بسخريّة.

- نشأة السخرية وتطورها:

يعد فن السخرية من أروع الفنون الأدبية التي أنتجتها فريحة الإنسان، وذلك لما ينطوي عليه من رصد نبضات الحياة معبرا عن الآمال والآلام من خلال انصهاره في بوتقة الواقع الذي يلقي الأديب وحيه من خلال سخريته، إذ أنها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيمًا أو تصغيرًا أو تطويلاً أو تقصيرًا، ويتم هذا التلاعب ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جو من الفكاهة والإمتاع.[1]

لقد زخر أدبنا العربي بالسّخرية والدعابة، والضحك والفكاهة وتناثرت الصوّر الفكاهية، والنّوادر المستملحة في مراجع الأدب الكبرى.[2]

السخرية قديمة قدم الإنسان، لأنها قد تكون ترويحا عن النفس أو تسريّة عن القلب، واستنكار لما يقع، أة هزءًا وتنذّراً بالخصم، كما جاء في قصة نوح عليه السّلام حين أمر بصنع السفينة ليجمع فيها من كلّ زوجين اثنين وأهله، وقرابته للمؤمنين وما اتبعه وآمن به قومه هزي به قومه وضحكوا وقالوا: "يا نوح قد كنت بالأمس نبيًّا وأصبحت نجّارًا، فكان جواب نوح حاملاً للوعيد والتّهديد عاقبة لتكذيبهم واستهزائهم.[3]

يعتبر الأدب السّاخر تراثًا بشريًّا تناقلته الأمم وتوارثته الأجيال وأنسب به البشر طوال عمارتهم للأرض، فلا يكاد الباحث يجد أمه لم يكن لها تاريخ في هذا الفن، تجسيد في الشخصيات أو الرسومات أو أشعار أو أخبار، ذلك أن النّفس البشرية في تركيبتها تسعى إليه البهجة ما يشرح خاطرًا أو يزيل هما، ويعيد بعض الباحثين جذور السخرية الأصلية

[1] ينظر، السخريّة والتهكم في ملصقات عز الدين ميهوبي، سلّامي سعاد، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة 2014-2015م، ص 07.

[2] ينظر، رابح العربي، فن السخرية في أدب الجاحظ من خلال كتاب التربيع والتدوير البخلاء والحيوان، المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، سنة ه1409هـ- 1989م، ص68.

[3] عبد الحليم محمد الحسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، 1397هـ- 1988 ص 63-64.

إلى قدماء المصريين الذين سجلوا تلك السخرية في رسوماتهم التي حضروها على جدران معابدهم، فيما يقارب فن "الكاريكاتور المعاصر".

ومن هنا نجد قول شوقي في كتابه فكاهة مصر: أنّ السّخريّة أرقى الأنواع الفكاهة لها لما تحتاجه من ذكاء وخفة ومهارة ومكر".[1]

فالأدب السّاخر له أساليب وصيغ، ومقومات ودعائم لا تصل رسالته بدونها، ولا يكتمل بناؤه في غيابها، كما أن له تمظهرات في الحياة الإنسانية منها النكتة المحيكة نثرا وشعرا ومنها القصّة والرسوم الثابتة (الكاريكاتير) والرّواية والأفلام في العصر الحديث وغير ذلك، وقد عرفت السّخريّة في الكتابات العربية قديمها وحديثها، ففي العصر الجاهلي ارتبطت بالغضب والهجاء والتعريض إذ: "يكون الهجاء مع فظاعته وخشونته نوعا من السخرية وعلى الرغم مما يبعثه أحيانا في نفس المهجو من الضيق والألم فإنه يثر الضحك عن طريق إبراز العيوب وتجسيمها والمبالغة في تصويرها، إلى درجة تجعل المهجو عن ملائم للصورة الطبيعية التي يجب ـأن يكون عليها الكائن[2]، يعني أن الهجاء كان أسرع الأساليب التي يحاول الشعراء من خلالها استعمال أساليب السخرية، فهي فكاهيات تهكمية عدوانية لتبيان العيوب الإنسانية والروحانية لتثير في النفوس الاحتقار ليشعر الطرف الآخر بالنفوق والاستعلاء، فترفع من شأنه وتحط في الطرف الآخر.

أما مع ظهور الإسلام فقد تراجع هذا الفن، خاصة وأن القرآن نهى عنه في عدة مواضع، كقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الذِينَ آَمَنُوا لاَ يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَومٍ}.[3]

إلّا أنّها شاعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم نظرا لكثرة المعارك التي كانت تنشب بين المسلمين والمشركين، فكان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا جلس في المسجد مع المسلمين كان الكفّ"أريستهزؤون منهم، ويقولون هؤلاء أصحابه، ويقولون لو أنّ ما جاء به لما سبقنا أحدا ولما خصّ الله غيرنا، ومن الأمثلة التي تدل على السخريّة أنّ الرسول ﷺ مرّ بالوليدين المغيرة وأمية بن خلف أبي جهل بن هشام فهمزوه واستهزؤوا به فأعاظه

[1] محمد معوض أبو عيسى، الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، دراسات ووثائق الشركة الوطنية 1390هـ- 1970م، ص35.

[2] عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان حسان ابن ثابت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983 ص270.

[3] الآية 11، من سورة الحجرات، ص516.

ذلك فأنزل الله تعالى عليه في ذلك:{لَوْ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِينَ سَخَرُوا مِنْهمُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ}.[1]

فقد كان للإسلام تأثيرًا كبيرًا في تراجع الهجاء والذم والسّخرية من الآخرين، حيث حرمت هذه الأساليب ونهى عنها الإسلام، فظهرت أنواع مختلفة للهجاء منها الهجاء السياسي والديني والمادي والجسماني، وخاصة مع بداية انتشار الإسلام واتساع رقعته ومن أمثلة ذلك ما قاله حسان بن ثابت في هجاء ضد في غزوة أحد.

أشَرْتُ لِكاَعٍ وَكَانَ عَادتُهَا لؤم إذا أشرْتَ معَ الكفرِ

أَخْرَجْتُ مرقصة إلى أحدٍ فيِ القومِ معنقة على بَكرِ

بكر تفالِ، لا حِرَاكَ بِهِ لاَعَنْ مُعاتَبة، ولاَ زجرٍ

وعصاك إستك تتقين بهِ دقّ العجاية عاري الفهرِ [2]

ففي هذه الأبيات هجاء فاحش يصور فيه "حسان" ضد بأبشع صورها ساخرة لا يمكن للعقل الإنساني تصورها.

وفي العصر الأموي ومع مجيء دولة بني أمية تغيرت أبعاد كثيرة من أوجه الحياة العربية، ولو في مستواها الظاهري على الأقل وازداد فن السخرية انتشارا مع بداية الخلافة الأموية، حيث انتشر الإسلام تقريبا في جميع أنحاء الجزيرة العربية، لأنه ومع تحول نظام الحكم من شورى إلى ملكي وراثي تفشت الصراعات السياسية والخلافات الخريبة بين المسلمينـ فعرف الهجاء في هذه الفترة أوجع مراحل تطوره خاصة مع ثلاثي النقائص: (جرير، الأخطل، والفرزدق).[3]

فنجد جريرا يتخذ من النساء مادة خصبة للسّخرية، فيسخر من نساء قوم الأخطل فيقول:

نساءٌ تغلبْ لاَ حُلم ولا حسبِ ولاَ جَمالَ ولاَ دِينُ ولاخفرِ

ما كان يرضى رسولُ اللهِ دينهمْ والطيبان أبو بكر ولاعمرُ[4]

[1] الآية 10 من سورة الأنعام، ص129

[2] حسان بن ثابت، الديوان، تح: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ج1، د.ط، 2006، ص34.

[3] محمد مصطفى أبو شارب، في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006 ص50.

[4] جرير، ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص201.

ومن خلال البيتين نجد أن جرير يقف على الأوصاف الجسمية التي أنشدها الأخطل ساخرا منهن حيث يرى أنهن لا يملكن لا حسبا ولا نسبا ولا جمالا، وكانت سخريته لاذعة حيث لم يبق لهن ميزة.

ونستطيع القول أن السخرية انتشرت مع بداية الخلافة الأموية، مما جعل العديد من الكتاب والشعراء يعتمدون على هذا الأسلوب وخاصة في الكتابة والتعبير عن آرائهم ومواقفهم إزاء الواقع وتناقضاته، لأنه واقع يعكس حياتهم الواقعية والثقافية، فيتحول الشعر من شعر إلى هجاء ساخرا، وهذا الأسلوب طغى على الحياة الاجتماعية لأن الشاعر يرسم فيها كل تصوّراته الفنّية للسّخريّة.

وعرفت السخرية في العصر العباسي نقلة نوعية، حيث توضحت معالمها وترسخت كفن قائم، فقد جعل منها العديد من الكتاب والشعراء أسلوبهم الخاص في الكتابة والتعبير.

ولا يخفى أن الضحك متصل بجوانب الحياة في كل عصر وممتزج بها فلا يكاد يخلو زمن من الفكاهة والنوادر، ولذلك لم يكن لمنا من الإشارة إلى أعلام الفكاهة على اختلاف أحوالهم وطرائقهم، ونحن لا ننسى فكاهات الشعراء في العصر العباس ولاسيما "أبو نواس".[1]

« حيث نجده يسخر من المقدمة الطللية ليعطي البديل وهي القصيدة الخمرية يقول:

وتُبلي عهد حِدّتها الخطوب دع الأطلالَ تَسفيها الجنُوبُ

تخبُّ بها النجيبة والنجيبُ وخلِّ لراكب الوجناءِ أرضاً

وأكثر صيدها ضُيُعٌ وذيبُ بلادٌ نَبَتُها عشرٌ وطلعٌ»[2]

لقد لعب هذا الفن دورا كبيرا في هذه الفترة باعتباره أسلوبا جديدا في الكتابة الذي يعبر عن قضايا المجتمع فاشتهر في شعر ابن الرومي الذي عُدّ من أبرز الشعراء السّاخرين.

«وكان للحضارة الأجنبية من فارسية وهندية تأثيرا كبيرا في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فعكس الأدب هذا الواقع في شتى وجوهه، فتغير الأسلوب وتغيرت

[1] ينظر: عبد الكريم الباقي، دراسة فنية في الأدب العربي، مكتبة لبنان، ناشرون، 1996، ص349.
[2] خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية الميسرة، أبو نواس، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج2، د.ط، 1996، ص115.

الموضوعات، فاتسعت السخرية وتطوّرت خاصة في ذلك المجتمع الذي انتشر فيه الترف، ورغد العيش وشاعت فيه الفكاهة، وظهور العديد من الكتاب والشعراء فأصبحت السخرية لاتعبر عن ردة فعل معينة إنّما تلازم الشخصية».[1]

وعليه يبدو أن الحضارة في العصر العباسي في مظاهر تطور الحياة هو السبب الرئيسي في تنوع فن السخرية.

- السخرية في اللغة والاصطلاح:

أ- السخرية في اللغة:

وردت كلمة السخرية في العديد من معاجم اللغة بعديد من التعريفات والاشتقاقات فقد جاء في لسان العرب " لابن منظور: «سَخر منه وبه سَخرًا وسَخَراً ومَسْخَرًا وسُخْرَاً بالضم وسُخرة وسِخريّا وسُخرية: هزئ به، وقال الفراء»، (يقال سخِرت منه ولا يقال سخِرت به)، وقال تعالى: { وَلاَ يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ} وسخرت من فلان هي اللغة الفصيحة...

قال الأخفش: سَخِرتُ منه وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزءت منه وهزئت به، والاسم السّخرية والسّخري، بالضم من التسخير وبالكسر من الهزئ، وقد يقال في الهزئ السُخري والسَخري، وقوله تعالى: {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتى أَنْسُوكُمْ ذِكْرِي}، فهو سُخريًّا وسِخريًّا والضم أجود».[2]

ومنه فالسخرية تحمل هنا العديد من المعاني: كالاستهزاء والضحك، وبالتالي فهي تحمل دلالات متعددة.

وقد جاء في القاموس المحيط: «سخرت منه وبه كفرحَ وسَخْرًا وسَخَرًا وسُخْرَةً ومسْخَرًا وسُخْرًا: هزئ كاستسخر والاسم السخرية والسُّخريُّ ويكسر وسخَره كمنعه سُخرة كهمزة يسخر من الناس وكُبسرة من يسخر منه، وسخرت السفينة كمنع: طابت لها الريح

[1] طه نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، 1978م، ص242.

[2] أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، مادة (س،خ، ر)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص189.

والسِروَ كُسِّر: بقلة بخسران، وسخَّره تسخيرًا: ذلله وكلفه عملا بلا أجرة كسَخَره».[1]

نجد الزمخشري ذكر في باب سخره: سَخَرَ فلان سُخْرةٌ سُخَرَةُ يضحك منه الناس ويضحك منهم.[2]

كما عرفها "الفراهيدي" والسُّخْرَةَ: الضحكة (...) وسخريًا في الاستهزاء: سَخّرتِ السقف أطاعت وطاب لها السَّيْرَ، قال سواخر في سواء اليمِّ تحفر.[3]

أما في المنجد الوسيط: سخر، يسخر من أوب، سخرًا وسخرُ، وسخرة:لذع بكلام تكّمي.[4]

ب- السخرية في الاصطلاح:

يصعب تحديد مصطلح السخرية تحديدا جامعا مانعا والسبب في ذلك يعود أوّلا: إلى حيويّة هذا المصطلح كفن متطور قابل للتجديد، فالسّخرية كما يقول "برجسون: شيئ حيّ قبل كل شيئ".[5]

تُعرف السّخرية أيضا بأنها إنزال الهوان والحقارة كما عند الزمخشري[6]، كثيرا ما يوصف شاعرا أو أديب بأنه (شاعر ساخر أو أديب ساخر).

استعمل القرآن لفظ السُّخرية بمعنى التذليل ست عشرة (16) مرة حينما أراد أن يصرح بالنهى عن استخدام هذا الفعل ترك الترادفات وعبّر بلفظ السُّخرية فقال: {لاَ يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَومٍ}(11).

يحاول السّاخر دائما الحط من شأن خصمه وتذليله، ففي حروف الكلمة إحساس بالطراوة والخبث والدّهاء بعكس لفظة التهكّم التي تدلّ على الهدم والاقتحام، ففي لفظة

السّخرية لين أشبه بلين الأفاعي.[1]

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب بن ابراهيم الفيروز أبادي والقاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ط8، ج2، ص405.

[2] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ/ 1998م، ج1، ص443.

[3] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنرواي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م ج2، ص226.

[4] أنطوان نعمة وآخرون، المنجد الوسيط في العربية، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2003، ص 486-487.

[5] عبد الرحمان محمد الجبوري، السخرية في شعور البردوني، المكتب الجامعي الحديث كركوك، العراق، 2011 ص11.

[6] صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، 1406هـ، ص46.

فالسّخرية أيضا "نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثّقافي، الذي يقوم على أساس الانتقاء للرّذائل والحماقات والنّقائص الإنسانيّة الفرديّة منها والجماعيّة"، وقال آخر: "هي طريقة في التهكّم المرير والتندر أو الهجاء الذي يطغى فيه المعنى بعكس ما يظنّه الإنسان وربّما كانت أعظم صور بلاغيّة عنفا وإخافة وفتكا".[2]

وعرفها محمد ناصر بوحجام: "بأنّها طريقة فنّية أدبيّة ذكية ولبِقة في الإبانة عن مواقف وآراء ذات رؤية خاصة وبصبغة فنية متميزة، وهي أسلوب نقدي هادف في التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضا بتناقضات الحياة وتصرفات الناس وكشف الحسرة والمرارة بطريقة غير مباشرة، بعيدا عن العاطفة الجامحة والانفعال الحاد قصد الإصلاح والتقويم نحو الأحسن وطبقا للتنفيس عن آلام مكبوتة".[3]

- فنون الأدب السّاخر:

أ- الفكاهة والسّخريّة:

يربط علماء النفس بين ظاهرة الضحك والأدب الساخر ويرون أن الضحك أثر مصاحب للسّخرية.[4]

يقول "جلين وليسن": "إن الفكاهة تمنحنا نوعا من التحر المؤقت، من سيطرة القوالب النمطية والطرائف المنطقية الجامحة وتسمح لنا بالهروب المؤقت من قيود الواقع وحسراته فيبعث عن الحل وهو الضحك".[5]

فالفكاهة من كلمة (فكة) أنها مرادفة للمزاح والمداعبة، ينبعث منها ضحك يدخل السرور والبهجة في النفوس كونه سلوكا اجتماعيا ملازما لحياة الفرد والجماعة وبالتالي الفكاهة ظاهرة اجتماعية تستطيبها الجماعات، لأنها تقوم على فلسفة خاصة ورؤى تنبع من روح الأديب ونظرته الخاصّة، للوجود، فالضّحك المنبعث منها، ولا يستمر أكثر من لحظة قصيرة، وحالما ينطفئ يجد المتهكّم نفسه من جديد أمام كون عبثي.

---

[1] طه نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، مصر، 1398هـ، ص14.

[2] نزار عبد الله خليل الضمور، السّخرية والفكاهة في النثر العبّاسي، دار حامد، عمان، الأردن، 1433هـ/ 2012 ص16.

[3] بوحجام محمد ناصر، السّخرية في الأدب الجزائري الحديث، جمعية التراث القرارة، الجزائر، د.ط، 2004، ص19.

[4] أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، دار إحياء التراث، د.ط، د.ت، ص132.

[5] جلين ولسن، سيكولوجيا فنون الأدب، تر: شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ت، د.ط، ص85.

أمّا السّخرية ليست لفظة تعادل لفظة الفكاهة، وإن كان قاسم مشترك بين هاتين اللفظتين هو الضحك، ولكن يوجد فرق بينهما وهو الغاية في الفكاهة هي الإضحاك لأجل الضّحك، (لكن يوجد فرق هام بينهما) فقط، ولكن السّخرية وسيلة لأجل الوصول للغاية وليست هي بغاية.[1]

ب- التهكّم والسّخريّة:

التهكم في الثقافة العربية لغة، وأسلوبًا وتأثيرًا، نشاط موصول يتحلّى في وسائل التعبير اللفظي كلها من شعر ونثر.[2]

يشترك التهكّم مع السّخريّة في كونهما يدلاّن على الهزء والتكبّر والشّعور بالأفضليّة، أكثر من ذلك فهو يمثّل أقصى درجات السّخرية.

إن المتهكّم يسعى لتصوير المتهكّم به في أبشع المظاهر التي يمكن أن تتصوّر فيها، بالتّالي فالتهكّم تدمير للذّات وكيانها، وهو أقصى من السّخرية وأمرّ منها بل وأشدّ واقعًا على النّفس.[3]

التهكّم لون من السّخريّة وهو يلتبس بغيره من الأغراض فأوّلها يلتبس بالسّخريّة، إلاّ أنّ التهكّم يكون بطريقة غير مباشرة، وقد يلتبس بالهجاء أو التعريض أو الدعابة، لكن هناك فروق بين هذه الأشكال وهو أنّ الهجاء صادر عن نفس غاضبة وحاقدة، والغرض من الهجاء التجريح والتشهير. أمّا الفرق بينهما وبين التعويض فهو أن في التهكم يصرّح بالفكرة المقصودة على عكس السخرية.[4]

ج- الهجاء والسّخريّة:

يرى عمر الدسوقي أنه إذا أردنا وضع تعريف جامع للهجاء لنفرق بينه وبين السخرية نستطيع القول بأنّه موضع من مواضع الشعر.

وهو ما درج معظم الشعراء إلى الهجاء التهكّمي، الذي يقصد إلى تجسيد عيب من عيوب المجتمع وتصويره في أبشع صور رغبة في الإصلاح، وقد يتمثل هذا العيب

[1] العمرى محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص96.
[2] الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ط، 1938م، ص498.
[3] سامية مشتوب، السّخريّة وتجلّياتها الدّلاليّة في القصة الجزائريّة المعاصرة، سنة 2011، رسالة ماجيستر، الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص10.
[4] الوقاد نجلاء حسين، بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمداني والحريري، دراسة أسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006، ص132.

الاجتماعي في شخص من الأشخاص، فيهجوه الشاعر ويبرز ذلك العيب فيه شكا يستدعي في انتباه القارئ أو السامع.[1]

نستطيع التفريق بين الهجاء والسخرية، بالقول إن الهجاء طريقة مباشرة في الهجوم على العدو في حين أنّ السّخريّة طريقة غير مباشرة، كما يمكن القول: « إن الهجاء مع فظاظته وخشونته يحمل نوعا من السخريّة وعلى الرغم مما يبعثه أحيانا في نفس المهجو من الضيق وتجسيمها والمبالغة في تصويرها إلى الدرجة التي تجعل المهجو غير ملائم للصورة الطبيعية التي يجب أن يكون عليها الكائن».[2]

ومن خلال ذلك نستنتج أن الهجاء يندرج ضمن فن السخرية لأن كليهما يبعث في نفس المهجور أو المسخور منه الضيق والألم، من خلال الإذلال والإهانة ولكن في أحيان أخرى قد يثير الهجاء الضحك من خلال المبالغة في تصويره عيون الأشخاص.

د- الدعابة والسخرية:

إن الدعابة لون من المزاح الخفيف، يعمد إليه الأصدقاء، أي أنه يحمل روح التبادل الاجتماعي مما يجلب المسرة والضحك، فيعمدون فيها إلى السورة الساخرة والمضحك، وتصل أحيانا إلى حالة الإدعاء الكاذب[3]، أي أنها فن كذلك يكون الهدف منه الضحك والمزاح الخفيف باستخدام الجمل القصيرة والمضحكة، بالإضافة إلى أنها تواصل اجتماعي يجلب المسرة والضحك.

هـ- النكتة والسّخرية:

تحتفظ النكتة بأهمية خاصة في باب السّخريّة ذي النّزعة الثأرية لأنّ ثمة قدرة مدمرة للنكتة من حيث قدرتها على الإفشاء والفضح، والذي يعنينا في هذا المقام هو النكات الهادفة ودورها في التعرية والهدم وتهشيم المثال الخاطئ وتشويه صورته، بقصد النيل منه والثأر للمفاهيم التي يدافع عنها الكاتب السّاخر، تتكئ هذه النكات في الغالب على المفاجأة والإدهاش، وهي في الأصل غطاء لهم جدّي.[4]

---

[1] عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ج1، 2000م،ص220.

[2] حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1982م، ص17.

[3] نزار عبد الله خليل، السّخرية والفكاهة في النثر العبّاسي حتى نهاية القرن الرابع عشر، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤقتة، 2005، ص42.

[4] عكارى سوزان، السّخرية في مسرح أنطوان غندور، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، 1991م، ص30.

- دوافع السخرية:

يذكر عبد الكريم البوغيش في حديثه عن شعر الجواهري السّاخر أهم البواعث التي أدّت عنده إلى هذه الطريقة من البيان وعرضها لنا على الترتيب التالي:

أن يكون الأسلوب السّاخر انتقاما لما يتلقاه الشاعر من الإهانات والمذلاّت، فالسّخرية تترجم حاجة المجتمع.

أ. يجعل بعض الشعراء السّخرية من آخرين سلاحًا حادًا للحصول على حقوقهم المسلوبة.

ب. يرى البعض من الأدباء السّخرية طريقة مناسبة للتنبيه والإيحاء.

ت. يلجأ الشاعر إلى أسلوب السّخرية تعوضا عن شعوره بالنّقص أو الحرمان.[1]

ث. يتّخذ الشّاعر أسلوب السّخريّة بسبب عداوة بينه وبين الشخص الذي ينتقده بغرض الانتقام.[2]

ج. يضطر الأديب السّاخر أن يرد الشخص المتعالي إلى صوابه فيحاول حينذاك البحث عن عيوبه ويضخمها ويكبرها، ويجعل منها أداة للضحك.

ح. تتولد عن شخصية المتعالي السّاخر، شعوره بالغرور وإجلاء مكانته لذلك يلجأ إلى نقد المجتمع بإبراز ما فيه من نقائص ومفارقات، كما قد تكون وسيلة للعلاج والتنفيس عما يشعر به السّاخر.[3]

خ. استعداد الفنان المزاجي الذي يكون ذهنه مهيأ إلى السّخرية بالناس مع انتقاء دافع شخصي معين يدفعه إلى ذلك ويمكن أن يكون الشخص نفسه ميال إلى الشرّ بطبعه ومحاولة الانتقام من الناس كرها وحقدًا.[4]

كانت هذه هي الأسباب المؤدية للسّخرية التي تعددت منها، ما يعود إلى الفنان في حدّ ذاته أو من أي شخص المسخور منه.

- أنـــواع السّخريـــة:

---

[1] ينظر: مقال عبد الكريم البوغيش، السّخرية في شعر محمد الجواهري، جامعة الإسلامية، فرع علوم وتحقيقات، طهران، إيران، 2010، 02.

[2] حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1982م، ص49.

[3] ينظر: أنيس فريحة، الفكاهة عند العرب، دار الفلسفة، الدار العربية للموضوعات، د.ط، د.ت، ص14-18

[4] طه نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، مصر، 1398هـ/ 1978م، ص18.

تتعدد السخرية وتظهر بألوان وأنواع مختلفة فهي:

أ/ السخرية السياسيّة:

كانت السخرية السلاح الذي يدافع به الإنسان على حقوقه والتخلّص من قدر كبير من آلامه وجراحه، وذلك نتيجة الأوضاع السياسية المتمردة من استبداد وطغيان وظلم والتنافس على السلطة والحكم كل هذا أدّى إلى فوضى سياسية وكوارث بشريّة.[1]

وقد انعكس ذلك بشكل سلبي على نفوس أبنائها المخلصين، فإذا عجزوا عن الدفاع بسلاحهم، انصرفوا إلى أسلوب آخر يتّخذون منه أسلحة حادة تنبثق منها النكتة والسّخرّيّة اللاّذعة فتجعلهم يحسون أنهم قد انتصروا وإن كان سلاحهم لا يمكن لأحد أن ينتزعه منهم أو يستولي عليه.[2]

ب/ السخرية الاجتماعية:

إنّ الصلة بين السخرية والمجتمع أشبه ما تكون بصلة البذرة بالتربة، فهي أصل نشأتها وعالم وجودها، ولولا تغيرات الحياة التي استوجبت وجود مثل هذا اللون ما ظهرت، أما عن دورها في حياة الأفراد فيأتي منسجما مع الغاية الجماعية التي تحققها، فيعبّر السّاخر عن رأي المجتمع في الخارجين عن سلوكيّاته وأخلاقه التي أقرّها، وتغدو السخرية إطارا واسعا لكل التناقضات، تستقرئ من خلال أحوال المجتمع.[3]

اعتبر أدونيس السخرية حاجة نفسية تنطلق بإرادة الإنسان، ينبغي من خلالها فهمًُا وإدراكًا للأشياء غير مفهومة، وهذا الانطلاق يبدأ من الساخر نفسه، لأن السخريّة في أصلها منفى يشك الشاعر فيه بنفسه وبالآخر.[4]

كما نجد أيضا السخرية من فئات اجتماعية مختلفة مثل:

المرأة والتجّار يقول "ابن الرومي" في سخريّة وهجاء:

وتُجَّار مثلِ البهائمِ فازُوا بِالمُنىَ فيِ النُّفُوسِ وَالأَحْبابِ

أصْبحُوا يلعبون في ظلِّ دهرٍ ظَاهرِ السُّخْف مثلهم لَعّابِ[1]

---

[1] عز الدين ميهوبي، ملصّقات منشورات أصالة، سطيف، الجزائر، 1997، ص15.

[2] سعيد أحمد غراب، السّخرية، في الشعر المصري في القرن العشرين، دار العلم والإيمان، مصر، د.ط، 2010، ص156.

[3] أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار الأسوار، عكا القديمة، 1977، ص40.

[4] سعيد اسماعيل شلبي، الشعر العباسي التيار الشعبي، دار غريب، الفجالة، د.ط، 1978، ص86.

ج/ السخرية الثقافية:

إن الواقع الثقافي مرتبط ارتباطا وثيقا بالواقع السياسي، فقد ظل الواقع الثقافي متخلفا، لتخلف الأنظمة السياسية التي كانت تحكم، فقد كان القمع السياسي وما يصاحب ذلك من اختلال في الموازين وسقوط القيم الاجتماعية، موضوعات لسخريّة المجتمع.[2]

- **أساليب السّخرية:**

1- السخرية بالمحاكاة: في المحاكاة يقوم الشخص الحاكي أو الساخر بتقليد الشخص أو المحكي عنه، أو المسخور منه في أسلوبه أو في صوته أو في حركاته.

2- السخرية عن طريق الصوت والحركة: السخرية عن طريق تلوين الصّوت، وتنويع الحركات، لون قديم من أنواع السخرية.

3- السخرية عن طريق التحامق: في التّحامق هو إظهار الحماقة والبلاهة والغفلة.[3]

4- التصوير المبالغ فيه (أي الكاريكاتوري): هو وضع الشخص في صورة مضحكة كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم.

5- التلاعب اللّفظي: يقصد تلاعب السامع باللفظ الذي يسمعه فيعكسه إلى معناه الآخر مستندا على الاشتراك المعنوي في اللفظ الواحد، وقد ينشأ عن خلط بين اللفظ المتكلم ولفظ آخر قريب منه.[4]

- **وظائف السخرية:**

إن وظائف السخرية متعددة باعتبار الغايات التي يرمي إلى تحقيقها الساخرون،

---

[1] ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، د.ط، د.ت، ص74.

[2] ينظر: عبد الرحمان محمد الجبوري، السخرية في الشعر البردوني، المكتب الجامعي الحديث، جامعة كركوك، العراق، د.ط، 2011، ص144.

[3] سعيد أحمد غراب، السّخرية، في الشعر المصري في القرن العشرين، دار العلم والإيمان، مصر، د.ط، 2010، ص60-64.

[4] إيمان طبشي، النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، (ماجيستر)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010-2011، ص22.

وبسبب اختلاف الحالات النفسية التي يكونون عليها، هذه الوظائف يمكن حصرها في وظيفتين أساسيتين، هما: الوظيفة الاجتماعية، والوظيفة النفسية، إن أول ما يلاحظ عن السخرية نزعتها العقدية، فهي تحاول نقل كل ما تعجبه الحياة من سلبيات وذلك بتتبع ما يجري في الواقع ونقده ومعالجته بهدف الإصلاح والتقويم[1]، وذلك بتحديد بعض أنماط السلوك الاجتماعي المقبولة وغير المقبولة.[2]

كما تقوم السخرية بزرع وبث الوعي في النفوس، وهنا تتجلى الوظيفة الاجتماعية للسخرية، والدور المهم للساخر الذي يؤدي رسالته في الحياة.[3]

فهو حين يسخر من النماذج البشرية التي تجسد الرذائل أو النقائص فإنه بذلك إنما يهدف إلى إدانتها أخلاقيا.[4]

ومن وظائف السخرية الاجتماعية أيضا إشعار الإنسان بضرورة تقويم أخلاقه وإلزامه بواجب المحافظة على تقاليده، وعاداته، ومقوماته، وحثه على إعادة النظر في علاقته بأفراد مجتمعه وضرورة توثيقها، وهذا بطريقة تنبيه لطيفة ولبقة، كما تقوم السخرية بوظيفة تطهرية حيث تقوم بالتنفيس عن مشاعر الإحباط والهم والقلق والحقد والتشاؤم، التي يشربها الناس تجاه بعض الشخصيات السياسية أو تجاه ظروف اقتصادية وسياسية سيئة.[5]

كما أن سخرية الإنسان من نفسه عمل اجتماعي ونفسي يحقق التوازن المفروض أن يكون بين الإنسان وبين المجتمع، وبينه وبين ونفسه فتتيح الراحة والسعادة للفرد ويطمئن المجتمع على بقائه، وعلى شدة اهتمام أفراده بهذا البقاء.[6]

نستنتج أن الأدب الساخر، كان لسان المجتمع العربي في مواجهة الواقع وتناقضاته، وعليه يمكننا القول بأن الأدب الساخر فن نشأ في البيئة العربية الأصلية الذي كان حافلا بالهجاء، ومع بداية العصر العباسي وصل إلى التطوّر ليصبح أسلوبا في الكتابات كالنادرة والتهكم والدعابة والهجاء والنكتة.

---

[1] إيمان طبشي، النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، ص26.

[2] شاكر عبد الحميد ومعتز سيد عبد الله وسيد عشماوي، التراث والمتغير الاجتماعي، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي ط1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2004، ص53.

[3] إيمان طبشي، المرجع السابق، ص27.

[4] عبد العزيز شرف، أدبيات الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1992، ص63.

[5] المرجع السابق، شاكر عبد الحميد ومعتز سيد عبد الله وسيد عشماوي، ص53.

[6] حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة، للكتاب، د.ط، 1982، ص33.

استخدمت السخرية كفن فعال لإصلاح النقائص البشرية وإلى إصلاح العوائق التي تقف في وجه تطوّرها، ففن السّخرية فن جامع لهذه الأساليب لأنه يتسم بالحيوية والسهولة والمرونة لتكون أكثر تأثيرا على القارئ.

إذ نستطيع القول أن الأدب السّاخر يتسم بصفتين هما:

- أنه سلاح في وجه الظالم الذي تتسبب به الحياة الاجتماعية والاقتصادية.
- أنّه فن ساخر بصورة عنيفة لاذعة تتسم بالشكوى والأسى والانتقام، والإذلال والإهانة والسخرية.

الفصل الثاني

السّخريّة في شعر ابن الرّومي

1- نبذة عن حياة الشاّعر ابن الرّومي

2- أغراض ابن الرّومي الشعريّة

3- خصائص الهجاء عند ابن الرومي

4- أقسام الهجاء الكاركاتيري السّاخر عند ابن الرّومي.

5- فلسفة السّخر عند ابن الرّومي.

لما انتشر الترف ورغد العيش، وشاعت الفكاهة في العصر العباسي، فلا غرابة أن يظهر العديد من الشعراء والكتاب الذين اتسم أدبهم بهذه الفنون ومن بين هؤلاء نجد الشاعر ابن الرومي.[1]

1- نبذة عن حياة ابن الرومي:

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح وقيل جورجيس، المعروف بابن الرومي مولي عبيد الله بن عيسى بن جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب.[2]

ولد في بغداد سنة 221هـ في الموضع المعروف بالعقيقة ودرب الختلية في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر ومن خلال شعره نلاحظ أنه كان يوناني الأصل، إذ يقول:

ونحنُ بنُو اليونَانَ قَوْمُ لنَا حجىً ومَجدٌ وعيدانٌ صلابُ المعاجِمِ

وقد ينسب نفسه أحيانا إلى الروم يقول:

مولاهم، وغذيُّ نعمتهم والرّومُ حِينَ تنضي أصليِ[3]

أما أمه ففارسيّة، وذلك واضح من خلال افتخاره بأخواله الفرس، وهو ينسب نفسه أحيانا إلى ملوك بنو ساسان يقول:

كيفَ أغْصنِي على الدنية والف رس خَؤولي والرّوم هم أعْمَامي

كان ابن الروم في طفولته هزيل الجسم، ذميم الخلقة، قليل شعر الرأس مما جعله لا يفارق عمامته.

توفي أبوه، ومازال فتى صغيرا وترك للأسرة ما يكفيها للعيش الكريم وكان له أخ وأخت بالإضافة إلى أمه.[4]

- **ثقافتــه:**

استمد ابن الرومي ثقافته من بيئته التي عايشها فكان لأعمامه الروم وأخواله الفرس

[1] ينظر، التميمي قحطان رشيد، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، ص68.

[2] ينظر، ابن الخلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، ص385.

[3] ينظر، حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص757.

[4] ينظر، عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص68.

دور في تلك الثقافة، وكان أفراد هذا التلاقح والتمازج الثقافي ثقافة جديدة تميز بها عن غيره من الشعراء يعتمد بها الفلسفة والمنطق كعنصرين أساسيين في شعره يقول "شوقي ضيف" «لم يكن ابن الرومي يذهب مذهب البحتري في أن الشعر لا يحتاج إلى فلسفة ومنطق، بل كان يرى أنهما أصلان مهمان في حرفته، فهو يعتمد عليها في تفكيره ويستخدمها في صيغته حتى لتتخذ أبياته في كثير من نماذجه، فهو يقدم لهما بمقدمات ويخرج منه بتائج كأنه رجل من رجال المنطق، بل هو رجل من رجال الفكر الحديث، وهو بذلك يأبى إلاّ أن يخرج نماذجه إخراجًا حديثًا، فيه فكر وفيه فلسفة وفيه منطق، وفيه تلك الصفات العقلية الجديدة التي يمتاز بها شعر العصر العباسي من أسلافهم القدماء».[1]

اتخذ ابن الرومي من الشعر سلعة وحرفة يتكسّب بها على طريقة شعراء عصره، فعرض شعره على الوزراء والأمراء ولم يثبت أنّه اتّصل بهم وممن اتصل بهم ومدحهم "محمد بن عبد الله بن طاهر" والي بغداد سنة 237هـ يجزل له العطاء، لكنه انتقد شعره، مما أغضب ابن الرومي وهجاه هجاءًا مرًا، قال:

إذَا حَسُنَتْ أخلاقُ قومٍ فبئسمَا خلفتُم به أسلافكُمْ آل طاهرَ

جنوا لكم أن تُمدحوا وجنيتُمْ لوْ تاكُمْ أنْ يُشتموا في المقابرِ[2]

لعلى أول ما يلاحظ على شعر ابن الرومي الطول الزائد على المد المألوف أو ما يسمى باستقصاء المعاني، كذلك عدم المبالغة في التأثير أن البيئة التي نشأ فيها كانت مليئة بالمؤثرات الكفيلة بإنتاج هذا الفن الساخر في شخصيته.

ونجد أن له نزعة شعبية واضحة فقد يدفعه منظر يراه في الطريق إلى قول الشاعر.[3]

- **وفـــاتـــه:**

مات مسموما سنة 283هـ وقيل 284هـ ويروي في ذلك أن القاسم بن عبيد الله أوعز

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1978م، ص206.
[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط1، 2004، ص205.
[3] ينظر، محمد عبد العزيز الموافي، حركة التجديد في الشعر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1428هـ- 2007م، ص 318- 328.

إلى ابن فارس أن يدس له السم في خشكنانجة[1]، خوفا من هجائه فلما أكلها، أحس بالسم فقام مسرعا، فقال له القاسم: إلى أين؟ فأجابه: حيث أرسلتني، فقال له: سلّم على والدي عبيد الله، فأجابه: ما طريقي على النار، وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أيامًا ومات، وقال أبو عثمان الناجم الشاعر: دخلت على ابن الرّومي لأعوده فودته بجود نفسه، فلما قمت من عنده قالي لي:

أبا عثمانَ أنتَ قومِكَ وجودُكَ للعشيرةِ دون لومِكَ

تزوّدَ من أخيك فما أراه يركَ ولا تراهُ بعدَ يومؤكَ[2]

واختلف في تاريخ موته فقيل أنه كان في سنة 282هـ وقيل سنة 283هـ، وقيل 286هـ، ولكن ابن الرومي يخبرنا أنّه بلغ الستين:

طربتُ ولم تطربْ على حينَ مطربِ،

وكَيْفَ النّصابيِ بابن ستينَ أسْيبُ!

فبلوغه الستين ينبغي قوله من زعموا أنه مات سنة 286هـ، ويؤكد التاريخيين الآخرين، لأنه في تاريخ ولادته، فوفاته إذًا بين الستة والثالثة والثمانين والرابعة والثمانين بعد المائتين، فيكون قد أدرك تسعة خلفاء أولهم المعتصم وآخرهم المعتضد، ولكنه لم يتصل بواحد منهم.[3]

2- أغراض ابن الرومي الشعريّة:

شاعرية ابن الرومي تختلف عن باقي الشعراء العرب، لأنه كان يعبر الصياغة اللفظية والأسلوب التعبيري، الاهتمام الذي يعيره العمل العقلي وللمعنى العميق الدقيق فهو شاعر مجدد بكل ما في التجديد من معنى لقد انطلقت شاعريته في الآفاق التي أحبها لم تقيد نفسها بأغراض رتيبة تعتمدها الشعراء، وإذا كانت دراستنا المنهجية تقتضينا الوقوف عند أغراض نبحثها بالتفصيل وهي: الوصف، الزهد، الرثاء، المدح، الهجاء والسخرية.

[1] خشنكاجة: ضرب من الحلوى.

[2] أحمد حسن بسج، ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ - 2002م، ج1، ص09.

[3] ينظر، بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصُر العباسية، حياتهم، آثارهم، فقد آثارهم، دار نظير عبود، د.ط، د.ت، ص239.

- **الوصف:**

أ-وصف الطبيعة:

أكثر ما وصف الشاعر الطبيعة التي عشقها وأغرم بها، فشخصها وتعامل معها كأنها كائن هي ينطق ويحس ويتحرك فإذا ضاقت به الدنيا وجار عليه الناس لجأ إلى بستان أو روضة، ونجاها متودّداً شاكيًا مداعبًا، فيفضي إليها ويذوب فيها وتذوب فيه كأنّهما حبيبان، يقول في وصف الرياض:

ورياضٍ تخايُلُ الأرضَ فيها خُيلاءَ الفتاةِ في الأبرادِ

ذات وشيٍ تناسجتهُ[1] سورٍ لبقاتٌ بِحوكِهِ وجوادِ

وهكذا تبدو الأرض كالفتاة الحسناء ظهرت بأبهى حللها، ووشيها الذي نسجته نسجًا رائعًا مدهشًا.[2]

كما وصف كل ما هو جميل وتفرح العين لرؤيته وتشرح له الصدور.

ب- وصف السحر: فيقول:

حيثُكَ عن شمالِ طافَ طافُهاَ بِجنةٍ فجَّرَتْ رُوحًا وريْحانًا

هَبَتْ سجيرًا فَتاجَى الغصنُ صاحبَهُ موسوِسًا وتُنادي الطيرُ إعلانًا[3]

يصف الشاعر في هذا المقطع عيوب الرياح في الصحر فتيى باردة تبعث الحياة.

كان وصف يقظ الشعور دقيق الملاحظة، شديد الانتباه سير الأغوار ويتحدى الاندماج في الموضوع الوصفي بمقارنة الواقع لموصوف بمشاعره وأحاسيسه ويتعمق في وصف الأشياء ويصورها تصويرا بارعا، هذه الملكة جعلته يغرق في ملاحظة دقائق الأشياء ويتفاعل معها ويخاطبها كأنها إنسان لو جوارح، ويلجأ إلى تشخيصها وإخراجها في قالب فنّي بديع.

وأكبر الظن هذا الجانب الفنّي هو الذي جعله يهيم بالزهاد والوعاظ وليس في حياته ما يصله ما يصله بالوعظ والزهد.

---

[1] تناسجته: اشتركت في نسجهِ.

[2] ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، الهصر العبّاسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، د,ت، ط12، ص322.

[3] علي بن العباس بن جريح، الديوان، ص13.

- **الزهـــــد:**

ابن الرومي ليس زاهدا بفطرته، ولكنه شاعر الحياة، ولذلك كان شعر الزهد في ديوانه ليس كثيفًا، فله خمس قصائد زهدية منها ثلاث في وصف الزهاد وزهديات منشورة في ثنايا أغراضه الأخرى، وهو لا يقاس بشعراء الزهد، المكثرين في هذا المضمار ولم يكن الزهد تقليدياً، إذ جعله موضوعيًا للزهاد، وأدخل عليه الغزل ولكنه ليس على غرار الصوفيين.

تأثر ابن الرومي في زهده بعناصر إسلامية أبرزها القرآن الكريم والحديث النبوي، وبعض شعراء الزهد كأبي نواس وأبي العتاهية.[1]

ومن بين أشعاره في الزهد ما يلي:

جَعَلَ اللهُ مهربًا وامتَطى الليلُ مركبًا

خادم كان مرة مُسْرفًا ثم أعتَبَا

راكِعًا شاجِدًا لهُ ليسَ يألو تقرُّبًا

فرضَ الخوفُ دمعَهُ لثرى الأرضِ مَشْربَا

لوْ تراهُ إذَا دعا يا مليكًا محجباً[2]

وعلى الرغم من أن شاعرنا شاعر الحياة والملذّات والشهوات إلاّ أنّه يستمد زهده من تجاربه وثقافته الواسعة التي جعلته يدرك حقيقة الدنيا فضلاً عن نظرته المتشائمة التي جعلته يزهد في الدنيا وينأى بنفسه عنها.

- **الهجاء والسخرية:**

ولعل من الجوانب التي تلفت النظر في شعر ابن الرومي جانب الهجاء وهذا الضرب يمكن أن نسميه الهجاء السّاخر، إذ يبعث بمهجويه عبثًا لاذغًا، فهو يقف عند نواحي الضعف ويكبرها ويظهرها في أوسع صورة لها حتى ليشير الضحك والإشفاق، ويصوّر

[1] الصفدي راكان ةتوفيق، ابن الرومي الشاعر المجدد، مطابع وزارة الثقافة الهيئة السورية للكتاب، د.ط، 2012، 139 ص139.

[2] علي بن العباس بن جريح، ديوان ابن الرومي، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ج1، ص235.

المهجو كما صوره أصحاب الصور الكاركاتيرية وهو يضعون رأسًا كبيرًا على جسم صغير، أو يخالفون في أعضاء الجسم فيركبونها عليه تارة بالطول، وتارة بالعرض.[1]

بل أصبح الهجاء عنده سلاحا يدافع به عن نفسه ويحمي شعره، وهو غالبا يتخذه سلاح للرد العدوان والأذى عن نفسه:

ألم ترىَ أنّي قبل الأهاجيِ أُقدمُ في أولها النَّسيبَا
لتخرقَ في المسامِعَ ثم يتلُو هجائي محرقًا يكون التلوبَا
كصاعقةُ أتت في إثر غيثٍ وضحك البيض تتبعه نجيبَا
عجبتُ لمت تمرسُ بي إغتراراً أتاحً لنفسه سهمًا مصيبًا
سأهرقث من تعرض لي صعودًا وأكوي من مياسمي الجنوباً[2]

على الرغم مما عرف به ابن الرومي من فلب ولسان لاذع في الهجاء إلاّ أنّه كان ذا قلب رهيف يحزن لفراق الأحبة والأصدقاء والأهل والأقارب.

- **الـــــرّثـــاء:**

أجاده وجدد في صوره ومعانيه، واقترب به إلى الوجدان والصدق، وتناول الموضوع بطريقة تهتلف عما كانت عليه، فتفوق على أقرانه في هذا الفن أيضًا ولعل خياته المملوءة بالمآسي جعلت منه إنسانًا شفاقًا، ذا نفس جريحة وقلاب ضعيف، ومشاعر مرهفة، يحسب الأيام كلها مآس، لذلك تميزت مراثيه بقوة الحرارة وصدق العاطفة، لأنه أبعد ما يكون عن اصطناعها، وقد مني بنكبات كثيرة وأهمها وفيات متكرّرة حصدت أولاده الثلاثة بعد زوجته وأخيره، فبكاهم جميعا وأشفق على نفسه لفقدهم، ومن الصور الجديدة في قصيدته الدالية، التي رثي فيها ابنه الأوسط، تحدث عن أثر الفاجعة في نفسه وعن مكانة ولده بصدق[3]، يقول:

توخَّى الحَمامَ الموت أوسط صَبيتيِ فَلِلَّهِ كَيفَ اخْتارَ واسطةِ العَقْدِ؟!
علىَ حين شمت الخير في لمحاتهِ وآنست في أفعاله آيةً الرشدِ[4]

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص212- 213.
[2] علي بن العباس بن جريح، الديوان، ص53.
[3] أحمد حسن بسج، ديوان ابن الرومي، ص11-12.
[4] نفس المرجع، ص55.

- **المـــدح:**

كان ابن الرومي يطيل في قصائد المدح أن تصل القصيدة أحيانا إلى ثلاثمائة بيت، لم يمهد لها بمقدمات قد تبلغ في بعض الأحيان مائة بيت وقد علل العقاد هذا الأمر بقوله: «كان يطيل القصائد حفاوة بالممدوحين وإكباراً لشأنهم وإظهاراً لعنايته بإرضائهم وكان يرى فرض عليه الممدوح أن يستصعبَ ولا يستهلَ، فإذا طرق القوافي اعتذر عن تقصيره».[1]

لم يمدح من الخلفاء الذين عاصره غير المعتضد ويعلل فوزي عطوي لهذا الأمر قائلاً: «ومع هذا فقد عجز أن يصيب مكانه في نفس الخليفة وسائر الولاة والأمراء لأنه كان غريب الأطوار من ناحية ومجلبة للنحس على ما كان يظن نفسه، ويظل به معاصراً من ثانية».[2]

لكنه مع ذلك مدح بعض وجهاء المجتمع من أمثال آل وهب، آل طاهر، آل إسماعيل بن يلل وزير المعتضد حيث قال مادحًا:

ما أشرقتْ من العيونِ ضئيلاً ولكنَ عظيمًا في الصورِ جيلاً
أقبلت في خلع الولاية طالعًا والناسِ حولك يوفضُون قبيلاً
فكان البدرُ المنيرُ مكملاً من طالعاتِ سعودهِ الكللاَ[3]

3- خصائص الهجاء عند ابن الرومي:

تميز فن الهجاء عند ابن الرومي بمظاهر تجديدية تميزه عن الهجاء القديم الجاهلي والإسلامي والجديد العباسي، تمثلت في ميزات يمكن تلخيصها فيما يلي:

- أصبح الهجاء يقوم على التفصيل والتدقيق في المعايب والمخازي، فقد كان يرسم صوره ساخرة للهجويين من خلال مطاعن خلقية ونفسية تقوم على تحقيرهم وتصغيرهم والحط من منزلتهم وإخراج عدة صور تتناول مختلف الجوانب ومثال علة ذلك قوله في وصف أحدب:

[1] ينظر العقاد عباس محمود، ابن الرومي حياته من شعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت، ص308.
[2] عطوي عابد بن فوزي، ابن الرومي، شاعر القرية النفسية، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص24.
[3] عطوي عابدين فوزي، ابن الرومي، ج7، الديوان، شاعر القرية النفسية، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، 1971 ص24.

قصرتُ أخادعهُ وغَارَ قذالَهُ فكأنّهُ متربّصُ أن يُصفَعَا

وكأنّماَ صُفِعت قفاهُ مرةً وأحسُّ ثانيةً لها فتجمّعَا

فهو في هذا البيت يصور الأحدب في تركيبه الجسماني، أخادع قصير وقذال غائر، ثم يقدم صورة ثانية وهي صورة الحالة النفسية التي يكون فيها صاحب هذا الشكل عادة، وهي :أنه متبرص أن يصفعا ونلاحظ ما في لفظة "تربص" من عناصر الحذر والخوف ثم قدم صورة ثالثة للأحدب تؤكد الصورة الثانية وتزيد عليها عنصر "التجمع".[1]

- دقة الملاحظة ووصف الحركة وبعث الصور البعيدة بالإيحاء وفي هذا يقول طه حسين «إن ابن الرومي كان قوي الخيال جدًا وكان خيالَهُ بعيدًا ليس بالقريب، وكان حاد المس جدًا وكان قوي الشعور، فكان إذا ألم بمعنى من المعاني تأثر به تأثرًا واضحًا».[2]

- عبقرية الحس والفحش في اللفظ والبذاءة فيه بالاعتماد على السب والشتم دون مراعاة الحدود الأخلاقية، والمبالغة في وصف العيوب والمساوئ.

- التجديد على مستوى الموضوعات الهجائية.

قد قسم الهجاء إلى نوعين اجتماعي وفردي:[3]

أ-الهجاء الاجتماعي:

أتى هذا النوع من الهجاء نتيجة نقمة الشاعر على المجتمع وتشاؤمه من الواقع بسبب الحرمان الذي عانى منه منذ صباه والازدراء الذي لقيه في مجتمعه، ونتيجة لتطيره من سلوكات أفرده، فأطلق لسانه في أعراض الناس ليحمي نفسه، من الظلم والازدراء ويهاجم أقوامًا في زمنه قد وصلوا منازل ليسوا لها بأهل الهجاء الاجتماعي عند الشاعر ليس هو الحقد على المجتمع، وإنّما تفشي الأمراض الاجتماعية فيه.[4]

نجد ابن الرومي يقف بهجائه على أسرة الطاهرين جميعا من مثل قوله:

إذا حسُنَتْ أخلاقُ قومٍ فَبِئْسَماَ خَلَفْتُمْ بهِ أسْلافَكُمْ آل طَاهِرْ

[1] ينظر، ابن الرومي، ديوان شرح وتح: عبد الأمير علي مهنا، منشورات، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1991، ج1، ص227.

[2] طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص689.

[3] ينظر، عبد الأمير علي المهنا، ديوان ابن الرومي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج6، ص236.

[4] ينظر، فوزي عطوي، ابن الرومي، شاعر الغربة النفسية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط2، د.ت، ص6.

جَنوُا لكُمْ أنْ تمدحُوا وجْنيتُمْ لِموتاكُم أنْ يشْتُموا في المقابِرِ[1]

ب- الهجاء الفردي:

يعتبر هذا الهجاء صورة مشوهة لما تنفر منه نفس الشاعر المتطيرة، وهو تهويل لمساوئ ومهايب المهجو، فيصف القبح وصف مضحك، ويصوره تصويرًا ساخرًا، ويلهو به كما يشاء ليرضى حاسة النفور في نفسه، لأنه كان يتفاعل مع القبح ويتطير منه، فصار يستخدم المعايب ويجتثها في الناس، انتقاما للجمال، وانتقامًا لنفسه من لؤخم المجتمع.[2]

ابن الرومي لم يهجو الدنيا وملذاتها بل كان يتهافت على الحياة مما يشبع شهواته ويسف في ذلك كل الإسراف ويرمي نفسه على أبواب الكبراء والوجهاء ممنيا نفسه بالخطوة عندهم ومع ذلك نجد شعره ناقمًا ساخرًا عابثًا ليس منزلة، كان ينفر من الناس وينفرون منه وهذا الطبع هو الذي جنى عليه وألزمه حالة الحاجة والخمول وقد أصاب في وصف نفسه، إذ قال:

أسخطْتُ إخواني وأخفقُ مَطعَمَ فبَقيْتُ بين الدّورِ والأبوابِ[3]

وهذا الأسلوب يتمثل في أسلوبين:

1/ الأسلوب التأليفي: يقصد به توليد الغلو من خلال جمع معانٍ عديدة في معنى واحد، يتجلى مثلا في هجائه لأبو سليمان الطنبوري كان مغنيا ومعلم صبيان.

أَبُو سُلَيمَانَ لا ترضىَ طَرِيقَتَهُ لا في غِنَاءٍ ولا تعليمِ صبيانَ

له إذا جاوب الطنبور محتفلا صوت بمصر وضرب في خرّسانَ

عواءٍ كلبُ علىَ أوتارَ مُنْدَفِعةً في قبَحٍ، قردٍ وفيِ اسْتكْبَارِ هَامانَ

وتَحْسبَ العينَ فَكِّيهَ إذَا اخْتَلَفَا عِندَهُ النَّغمَ لكيْ بغل طحانَ[4]

صور الشاعر أبو سليمان بأنه غير نافع في الغناء وفي التعليم بدأ بالتفصيل فتناول أولا: دهل أبي سليمان بأصول التلحين والملائمة بين العزف والغناء، ثم وصف صوته وعزفه وشكله وأخلاقه ففي هذه الأدبيات صورة جمعت عناصر القبح ما لا يمكن تخيله.

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص300.
[2] المصدر السابق، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص236.
[3] ينظر، عبد الحميد جيدة، الهجاء عند ابن الرومي، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر، 1974، ص139-ص456.
[4] عبد الأمير علي مهنّا، ديوان ابن الرومي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1988، ج6، ص288.

2/ الأسلوب المنطقي: يتمثل في الأساس في قصيدته اللامية الشهيرة التي تعرض لها لعمرو صاحب الوجه الوجه الطويل، وفي هذه القصيدة من الخفة والرشاقة والحركة والحيوية ما يدمي المهجو ويتنزع إعجاب القارئ أو السامع بالتجربة الفنية المكتملة لدى الشاعر، حيث تتجسد في المهجو عبر القصيدة ألوان الخزي الخلُقي والعائلي مضافة إلى قبح الشكل والمنظر:

وجهكَ ياً عُمْرُو فِيهِ طُولُ وفيِ وُجُوهَ الكِلابَ طُولَ
مقابحَ الكَلبَ فيك طَرَى يَزولُ عَنهَا وَلَا تزولَ
وَفيهِ أشياءَ صَالحاتِ حَمَاكُمَا اللهُ والرّسولَ
وقَدْ يحاميِ عِندَ المَوانيِ ومَا تُحَامي وَلاَ تصولُ
وأنتَ من أهل بيت سوءِ قِصّتهم قصّة تطولُ[1]

بدأ وصفه بتقرير حقيقتين وجه عمرو طويل ووجوه الكلاب طويلة، ثم يربط هذين الحقيقتين بحرف العطف فإذا بوجه الشبه قد انعقد بين المهجو والكلب ثم يمضي إلى المقارنة بين مهجوّة والكلب يشتركان في جميع مقابح الكلاب لكنهما يختلفان في ذلك ثم التفت إلى أسرته ووصفها بأنّها أسرة سوء ثم يعرض منزلة المهجو فيجعله تافهًا لا قيمة له.

4- أقسام الهجاء الكاريكاتيري السّاخر عند ابن الرّومي:

وبوسعنا أن نقسّم أنواع الهجاء في أشعار ابن الرومي إلى نوعين:

الهجاء الكاريكاتيري الظّاهري والهجاء الكاريكاتيري المعنوي، ورتبناه كما يلي.

عالجنا ابتداءًا الهجاء الكاريكاتيري الظّاهري ثم الهجاء المعنوي.

أ- الهجاء الكاريكاتيري الظّاهري على بعض أعضاء الجسم:

هجاء اللحية، هجاء الصّلعة، هجاء الأنف الطويل، هجاء قبلح الوجه.

أكثر ما نجد عند ابن الرومي في هجائه المادي يدور حول هجاء اللّحي والصّلعة وقبح الوجه والأنف الطّويل ومع أنّه عالج أشياء أخرى لتوظيف الشخصية الكاريكاتيرية، لكنّها قلية جدّا أو ملئ بالألفاظ المتقذعة فلهذا نميل إلى ما يكون جديراً بالذكر وبعيدًا من الفحش.

[1] عبد الحميد، جيدة، الهجاء عند ابن الرومي، ص456- 457.

1- هجاء اللحية:

قال ابن الرومي وهجا مهجوّاً لم يعرف:

ولحية يحملُـــهَا مَـــائقُ شبَّهَ الشَّراعِينَ إذاَ أشرعَا

تقودهُ الرّيحُ بِهَا صَـــــــاغرً قودًا عنيفا يُتعب الأخْدعَا

فَإنْ عَدَا الرّيحُ في وجـــــهِهِ لَمْ يَنْبَعثْ مِنْ خَطوهُ إصبعًا

أوْ غَاصَ في البحرَ بها غوصَة صاَد بهَا جيتانها أجمعَا[1]

قد ارتكز الشاعر في هذا الوصف على اللّحية، إضافة على حمق صاحبها، فهي لحية لافائدة فيها لصاحبها بل تواجه صاحبها بالضرائر والخسائر، وقد استفاد الشّاعر من كلمة (يحملُ) كي يزيّن أنّ اللّحية صارت كالضّعف على إبالة صاحبها، كما يقوا "شوقي ضيف" في شرح هذه الأبيات:

«لحية هذا الرجل الأحمق بجانبها المستعرضين كشراعي السفينة، بل هما يثقلانه حين تقبله الريح، فلا يستطيع التحرّك، بل إنّ هذه اللحية العريضة أشبه ما تكون في عين ابن الرومي بشبكة كبيرة، وأولي بصاحبها أن لا يعترض بها الناس في الطريق بل يسقط بها في البحر ليصير حيتانه التي يعزّ على الشباك صيدها».[2]

ونجد في الأبيات التالية أيضا أن الشاعر يميل إلى اللّحي وذمّها وإنكارها ويذم أيضا أصحابها، أمّا صاحب اللّحية في هذه الأبيات فهو "أبو حفص" الذي احتل جانبا واسعا بين أهاجي ابن الرومي، ونستطيع القول بأن لم يكد يتكلم الشّاعر في ذمّ اللّحي أو الصلعة حتى يتراءى لنا اسم "أبي حفص الوراق:

إنّا أبا حفص وعثنونَه[3] كلاهمَا أصبحَ لي ناصبَا

قد أغريا بي يهجوانيِ معَا وحدي وكان الأكثر الغالبا

أقسمت ما استنجد عثنونَهُ حتىَ غَدَا لي خَائفا راهبَا

إن كان كفؤًا لي فيِ زَعْمهِ فليعتزل لَحيتهُ جَانبًا [4]

[1] علي بن عباس، ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، د.ط، 1423هـ ج2، ص392.

[2] شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1977م، ص103.

[3] عثنونه: طول لحيته.

[4] علي بن عباس، ديوان ابن الرومي، منشورات محمد بيضون، بيروت، د.ط، 1423هـ، ج1، ص 91-92.

هجا الشاعر في هذه الأبيات "أبا حفص الوراق" وسخر منه وكأنّ بينهما خصومة شديدة حيث وصف الشاعر المهجو وانتزع لحيته كأنها شخص آخر يقف بجانبه يبادله الهجاء وينتصر عليه يقول: "إنّ لحية المهجو علامة العار، وعليه أن يلحقها ويطرحها جانبا.

يقول في مكان آخر وهو يذم اللحية أحدهم مخاطبًا:

إنَّ أنتَ صَادفْتَ أخًا لَحيةً قَد جلّلتَ مِن كَبُرَ صَدْرُهُ.

فاقبضْ بِيُسْرِكَ عَلىَ أَصلَهَا وَضَع علىَ حَلقومَهَا الشَّفرَة

فإنْ خَشيتَ اللهَ فيِ قتلهِ وَخِفتَ مِنهُ سُطوة مُرّهُ

فُتبْ إلىَ عَثْنُونَهُ نَاتَفَ فأتِ عَليهِ شِعرِهِ شِعرّه[1]

رسم الشاعر في هذه الأبيات صورة كاريكاتيرية للمهجو هجاءًا ساخرًا يهزئ منه ومن لحيته.

2- الصّلعة:

قال ان الرومي في ذم صاحب صلعة وقيل أن هذا أول شعر قاله من بحر الرجز.

أَصْلعَ يُكنىَّ بِأبيِ الجُلّحَت

صَبلّقَ كَالمَاعزِ الكَلْوخْتِ

ذُو هَامةٍ مِثل الصّفاةِ المَرتِ[2]

صور الشاعر في أبياته صورة مثيرة للضحك لشخص أصلع وشبذه أبا الجلحت بالماعز الذي أصابه الجرب وتساقط شعره ولم يبق منه إلى مقدمة رأسه، ووصف رأسه بالصخرة الصافية الملساء، وفي نهاية الوصف يدعو على رأس المهجو بأن يصفع شديدًا من بداية الصبح حتى نهاية اليوم.

وقال في هجاء الأصلع مخاطبًا أبا "حفص الوراق":

رأْسَ أبَى حَفْصِ عَظِيمِ المَنفعةِ كمْ مِنْ يَدِ أمستْ به ممتعةً

كوعدِ مِنْهُ لَبكتْ بِأربعةِ وَأصْبَحَت لفقدهِ مُفجّعةً

[1]علي ابن العباس، الديوان، ص109.

- الصبلّق: غنم صغارا لا تكبر.

[2]علي ابن العباس، ديوان ابن الرومي، منشورات محمد بيضون، بيروت، د.ط، 1429هـ، ج1، ص265.

رأسُ جلاه قرّعه ليصفعّهُ لله تلكَ الهَامة لمُربّعهِ[1]

3- أصحاب الأنف الطويل:

أ- الصّفات الخِلقية:

ومن الصفات الخلقية التي هجاها ابن الرومي في مهجوه الأنف الطويل حيث يصور في الأبيات الآتية أنف أحدهم سافرًا من شكله، يقول:

فالأنفُ منكَ لعُظْمِهِ أبَداً لِرأسِكَ يَعكسُ

حتىَّ يَظنُّ النَّاسَ أنـ كَ فيِ التُّرابِ تفرّسُ

ولا أَنتَ أَجْدرُ بِالذيِ فالفيلُ عِندَ أفْطَسُ

يَا من له فيِ وَجْهَهُ أزجٌّ عَليْهِ مكنسُ[2]

يعيب الشاعر عدم تناسق أنف المهجو مع جسمه أمام الناس كأنّه شخص يبحث عن شيء في التراب، يشبه طول أنفه بخرطوم الفيل وحينما يعطس يعطس بجبل أبي قبيس وهذا هو نهاية المسافة التي اختاره الشاعر ليرينا طول الأنف وقبحه.

ب- العيوب المعنوية:

تناول ابن الرومي عيوبًا معنوية عاب بها من مجاهم ومن بين هذه العيوب نجد:

- البخل:

قال لمهجو سمي بـــ عيسى أيضًا:

يقترّ عيسى على نفسَهُ وليس بباقِ ولا خالدٍ

فلو يستطيع لتقتيره تنفسُ مِنْ مُنجزِ واحدً

عذرناه أيام إعدَامهُ فَما عَذَرَ ذِي بَخْلِ واجدِ

رضيتَ لِتفْريقَ أمْوَالَهُ يدي وارث ليس بالجامد.[3]

[1] أحمد حسن، بسبع، ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ- 2002، ج1، ص 387.

[2] علي ابن عباس، ديوان ابن الرومي، ص 205- 207.

[3] جورج عبد معتوق، ابن الرومي الشاعر المعذب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1984م، ص134.

قد وصف الشاعر رجلا مشهورًا ببخله وشحّه إزاء الآخرين بل إنّ بخله وصل حد حرمانه هو أيضًا، أمّا الشيء المهم هو كيفية معالجة الشاعر هذا البخل لأننا نجد الشّاعر مال في وصفه لبخل المهجو نهج شخصي.

5- فلسفة السخر في شعر ابن الرومي:

اجتمع في شعر ابن الرومي عناصر السخر ما لم تجتمع لأحد في عصره، فقد توفر لديه دقة الملاحظة والإحساس وعمق الشعور بالمتناقضات في نفسه وفي زمنه، وسعة النظر إلى الفوارق، وسماحة العطف التي تقابل مرارة العصبية.

فهو شاعر الطبيعة في الأدب العربي، وشاعر الهجاء والسخر، شاعر الحياة اليومية، في عصره وشاعر الأوهام والأشباح، وشاعر المزاج المتقلب، ويرجع ذلك كله إلى أنّه تزود بثقافة واسعة ومكثفة لغة ونحوًا وأدبًا، وعلومًا أصلية وأخرى دخيلة، وفلسفة وما يتصل بها من أساطير وحكايات وخرافات.

فاستمع إلى الرواة والمحدثين الكبار واستفاد من دار الحكمة التي اكتضت بكتب الفلسفة وعلوم الأوائل، وقد اكتسبه هذا قدرة على التحكم في اللغة ومعرفة أسرارها وإيحاءاتها، ومكنه ذلك من الاستقلالية في المذهب الشعري، فاعتز بمواهبه الفنية وذكائه، وسعة علومه، واعتد بكلامه اعتدادًا.[1]

كما لمظهر ابن الرومي التأثير على الاتجاه الساخر فإن مظهره كان يوصل لديه هذا المنحى، فقد كان أصلع قصير اللحية كلها، أعتل جسمه مبكرا، وانهارت بنيته ووهنت قواه، وضعف بصره، واختلجت مشيته، فقد كان يحس بقبحه أحساسًا شديدًا، ولا شك أنّ قدرته على استنباط ذاته وتمحيص نفسه، ومعرفة مواضع النقص لديه، منحته قدرة على تمحيص الآخرين واستقراء نفوسهم.

أما ظروفه الحياتية، فكان كل ما فيها يبعث الحزن واليأس وهذان لهما أكبر الأثر في نفسه، فقد زوجته وأولاده فاستقر في نفسه التشاؤم والنقمة، فانعكست هذه الظاهرة على أخلاقه وتصرفاته.[2]

[1] ينظر، عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من الشعر، المكتبة التجارية، مصر 1970، د.ط، د.ت، ص115.
[2] ينظر، عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1429هـ-2008، ص119.

ومهما قيل حول تشاؤمه وتطيره، فلا شك أن هذه الظاهرة تعود إلى أمور كثيرة منها ما هو كامن في شخصه، ومنها ما هو في المجتمع، فما كان يحس به من فوارق وعيوب وما كان يشاهده من آفاق خلفت لديه مزاجًا مضطربًا فهو إنسان مرهف الحس.

وأكثر ما يبعث السخرية في نظره ملوك العصر الذين يتربعون على شدة الحكم وبيدهم الأمر والنهي، وشخصياتهم المضطربة.

لقد سخر ابن الرومي من طبقة الشعراء الذين جاروا الكبار في النفاق والمداهنة، فوضعوا من أنفسهم ومن شعرهم، كما سخر من العلاقات الإنسانية التي سادها النفاق في عصره.

برع في وصف الشكل والحركة، "صور الرجل وهو يتهيأ لأنه يصفع، ثم يتجمع لينقي الصفعة الثانية، كما عمد إلى الصور الكاريكاتورية بإقامة حوار بين أعضاء المهجو، فيركز على الأنف مثلا، ويمنحه قوة العقل والشعور يقول:

وإذا نهضْت كُبّا بوجـ ـــهك للجبين المعطِس

فالأنف منك لعظمُهِ أبدًا لرأسِك يعكِسُ

فتذهب صرخته صدى في عصر النفاق ويرتد إلى نفسه يعيش غربة الغرباء، ويكمش على نفسه فيكون انكماشه سببًا في ميزته الفنية، يمنحه القدرة على التحليل لما يجده في نفسه من انفعالات.[1]

يمكن القول أن الشّاعر ابن الرّومي امتاز عن غيره من الشعراء، فقد كان شاعرًا جريئًا، في كلامه، وكان له أغراض شعرية مختلفة من مدح وهجاء، ووصف، وكان الهجاء الغرض الغالب على شعره وإذا هجا فلا يهمه أن يكون هجاؤه في خليقة أو غير خليقة إلاّ أنّ أشعاره كانت تمثل الفن الأدبي الأصيل، وتعبر عن الحياة العبّاسية بكل تناقضاتها ومظاهرها، وقد مثّل فنّ الهجاء أحسن تمثيل.

[1] ينظر، عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، ص120-135.

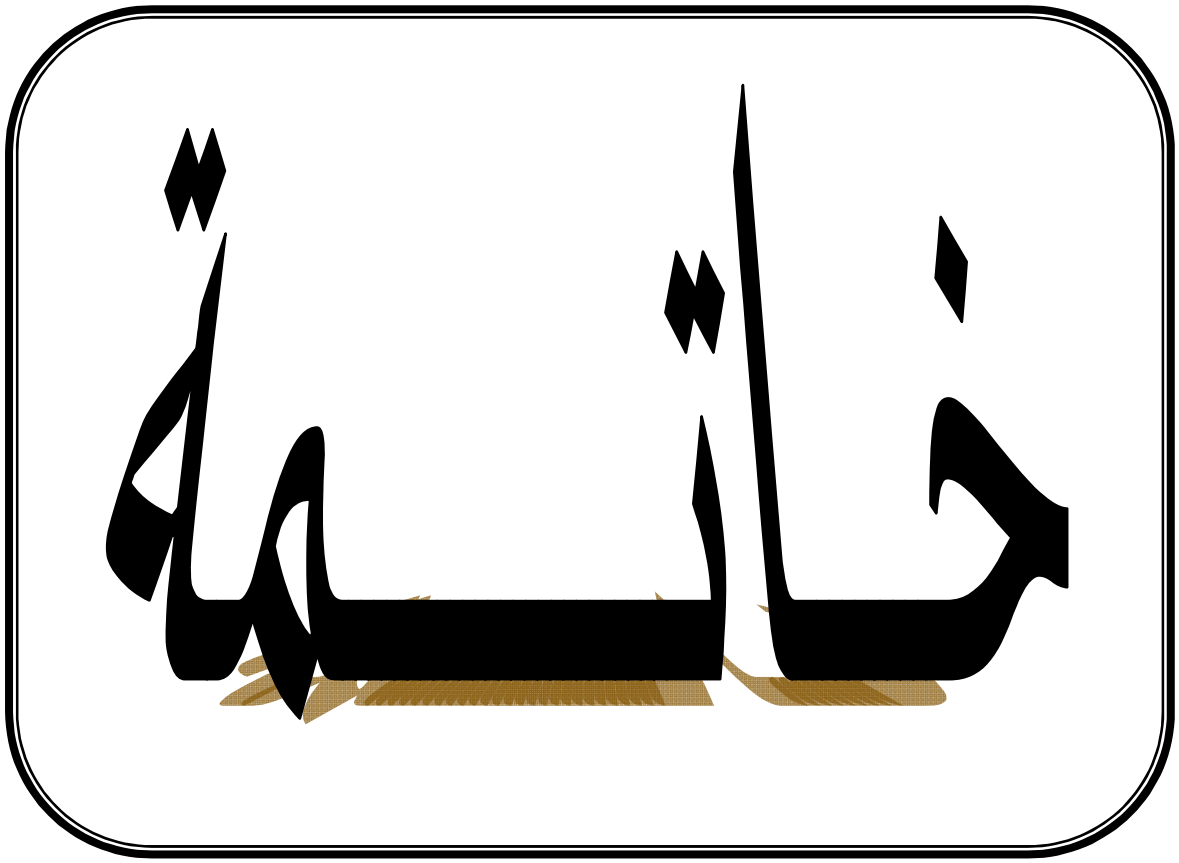
خاتمة

خاتمة:

بعدما تعرضنا إلى أهم الجوانب التي عرفها العصر العباسي، بداية من الجانب السياسي مرورًا بالجانب الاجتماعي وصولاً إلى الجانب الفكري وأبرز مواقف التجديد الشعري، يمكن أن نستخلص أهم النتائج وهي:

- كان العصر العباسي عصرًا ذهبيا بامتياز ويعتبر هذا منذ تولي أبو العباس الخلافة بعد إسقاطهم للدولة الأموية التي رأو بأنّها غير قادرة على مواصلة تسيير شؤون الدولة فدخلوا بنو العباس بشكل مباشر في المجتمع واعتبرت فترة حكمهم من بين أرقى فترات الحكم التي عرفها التاريخ الإسلامي، كما تم نقل العاصمة من دمشق إلى بغداد.
- كان اهتمام العباسيون بالجانب الاجتماعي أكثر من أي جانب، وهذا من أجل تحقيق حياة أفضل مما كان عليه العرب من قبل إلا أنّ هذا التّرف والبذخ الذي ميز هذا العصر.
- وقد عرف الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة تطوّرا وتجديدا في مختلف الجوانب أدّى إلى ظهور العديد من المؤلفين والشعراء الذين ساعدتهم البيئة العبّاسيّة على نظم قصائد شعريّة متعددة الأغراض والأساليب.
- وإذا تحدّثنا عن الشعر فإنّنا نتحدّث عن القصيدة وما لحق بها من تطوّر وتجديد، بداية من التخلّي عن المقدّمة الطلليّة التي عرفها العصر الجاهلي واستبدالها بمقدمة تلائم الواقع العبّاسي، التي تميّزت بالحضارة والرقيّ والقصور والريّاض.
- السّخريّة جزء لا يتجزّأ من تكوين الذات البشريّة لأنّها تستخدم لإثارة الضحك أو نقد أو معالجة قضية ما بهدف الإصلاح والتهذيب.
- السّخريّة نوع من التاليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والنقائض الإنسانية الفردية، منها والجماعية.
- السّخريّة قديمة منذ قدم الإنسان لأنّها قد تكوّن عن النّفس، فهي فن نشأ في البيئة العربيّة الأصليّة، اي منذ العصر الجاهلي الذي كان حافلاً بالهجاء ومع بداية العصر العباسي وصل إلى أقصى مراحل تطوّره ليصبح أسلوبًا تعبيريًّا متداولاً في الكتابات اليوميّة.
- تشمل السخريّة على السخريّة السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

- لقد تنوعّت أساليب السخريّة ودوافعها، فهي تختلف من كاتب إلى آخر وكل واحد حسب تفكيره ومذهبه ولكلّ واحد أسبابه الخاصّة التي تدفعه إلى سلوك أسلوب السّخريّة.
- تتمثّل فنون الأدب السّاخر في الفكاهة والتهكم والهجاء والدعابة والنكبة.
- يعتبر ابن الرّومي من شعراء العصر العبّاسي الذي تميّز شعرهم بالسخريّة.
- استعمل أغراض شعريّة كالوصف والزهد والمدح والهجاء.
- كان غرض الهجاء الغرض الغالب في الديوان فهو يندرج ضمن فنّ السخريّة، فن حاز فيه الرتبة العليا وهجاؤه نواعان: مضحك ساخر وآخر مقنع فاحش فيه هتك للأغراض، اعتمد في هجائه السّاخر على عيوب المهجو الخلقية فاستغلها وكبّر حجمها ويمسخ الصّورة فيصغّرها من أجل الضحك والإستهزاء.
- إنّ الهجاء عند ابن الرّومي يتميّز بمظاهر تجديديّة تميّزه عن التقديم تتمثّل في دقة الملاحظة، ووصف الحركة وبعث الصورة البعيدة الإيحاء، عبقريّة الحس والفحش في اللفظ والبذاءة فيه: بالإعتماد على السب والشتم بشكل رهيب، دون مراعاة الحدود الأخلاقية.
- يقسّم الهجاء في أشعار ابن الرومي إلى نوعين:"
  - الهجاء الكاريكاتيري الظّاهري.
  - والهجاء الكاريكاتيري المعنوي.
- يشمل الهجاء الكاركاتيري الظاهري على بعض أعضاء الجسم منها: هجاء اللّحية، هجاء الصّلعة، هجاء الأنف الطويل، هجاء قُبح الوجه.
- الظروف الحياتيّة القاسيّة التي مرّ ابن الرومي من الحزن واليأس من قبل إحساسه بقبح مظهره أدّى به إلى السخريّة والاستهزاء بالآخرين.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم رواية ورش.

2- المصادر:

1- ابن قتيبة، أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ- 1988م.

2- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير محمد أحمد حسب هشام ومحمد الشاذلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، مادة (س.خ.ر)، 2003م.

3- الجاحظ عمر بن بحر الكناني، البخلاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1419هـ.

4- الجرجاني عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبا الفضل إبراهيم البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركة مصر، د.ط، د.ت.

5- جرير، ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م.

6- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تح: عبد الحميد هنرواي، ج2، 1424هـ- 2003م.

7- الزمخشري، أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1429هـ- 1998م.

8- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، 1995م.

3- المراجع:

1- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت.

2- ابن الرومي، ديوان، تح: الأمير علي مهنا، منشورات، در ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، ج1، 1991.

3- ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح: عبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976م.

4- أبو تمام، الديوان، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م.

5- أبو السعود سلامة أبو السعود سلامة، الأدب العربي في مختلف العصور، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2007م.

6- أبو نواس، الديوان، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1423هـ- 2003م.

7- أحلام الزعيم، قراءات في الأدب العباسي الحركة الشعرية، مطبعة الاتحاد، جامعة دمشق، 1991م- 1411هـ.

8- أحمد حسن بسج، ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ- 2002، ج1.

9- أحمد عطية الله، سيكولوجيا الضحك، دار إحياء التراث، د.ط، د.ت.

10- أدونيس، مقدمة الشعر العربي، دار الأسوار عكا القديمة، 1977م.

11- أمين أحمد، ضحى الإسلام، مكتبة الأسرة بيروت، ج1، د.ط، د.ت.

12- أنطوان نعيمة وآخرون، المنجد الوسيط في العربية، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2003.

13- أنيس فريحة، الفكاهة عند العرب، دار الفلسفة، الدار العربية للموضوعات، د.ط، دت.

14- إيليا الحاوي، تطور فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، لبنان، د.ط، د.ت.

15- بشار بن برد، الديوان، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

16- بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية، حياتهم وآثارهم، دار نظيرة عبود، د.ط، د.ت.

17- بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، د.ط، 2004.

18- التميمي، قحطان رشيد، اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت، د.ط، د.ت.

19- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ط، 1938.

20- جلين ولسون، سيكولولوجيا فنون الأداء، تح: شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، د.ت.

21- جورج عبدو معتوق، ابن الرومي، الشاعر المعذب، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1984.

22- حامد عبده الهوال، السخرية أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1982م.

23- حسان بن ثابت، الديوان، تح: وليد عرفان، دار صادر، بيروت، ج1، د.ط، 2006م.

24- حسن جعفر نور الدين، شعر التمرد في الأعصر العباسية، رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1924هـ- 2003م.

25- حنا الفاخروي، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل بيروت، لبنان، 1986م.

26- خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة، أبو نواس، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج2، د.ط، 1996م.

27- رابح العربي، فن السخرية في أدب الجاحظ، من خلال كتاب التربيع والتدوير، البخلاء والحيوان، المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، سنة 1409هـ- 1989م.

28- الربعي بن سلامة، تطور البناء الفني في القصيدة العربية، دار الهدى، الجزائر، 2006م.

29- ركان الصدفي، ابن الرومي، الشاعر المجدّد، منشورات الهيئة العامة السورية، للكتاب، د.ط، د.ت.

30- رمضان عبد الغني العطار، دراسات في تاريخ الشعر العباسي ونصوصه، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ج1، د.ط، د.ت.

31- الساريسني، عمرو بن عبد الرحمان، أعلام في الشعر العباسي، عمان، الأردن، ط1، 2004م.

32- السباعي البيومي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، طبعة العلوم، القاهرة، 1931م.

33- سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين، دار العلم والإيمان، سوق، مصر، د.ط، 2010م.

34- سعيد إسماعيل شلبي، الشعر العباسي التيار الشعبي، دار غريب، الفجالة، د.ط.

35- شاكر عبد الحميد ومعتز سيد عبد الله وسيد عشماوي، التراث والمتغير الاجتماعي الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي، ط1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2004.

36- شرف عبد العزيز، الأدب الفكاهي لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر، د.ط، 1411هـ.

37- شوقي ضيف، أحمد عبد السلام، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، د.ط، د.ت.

38- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط12، د.ت.

39- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط12، د.ت.

40- شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1977م.

41- شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط1، د.ت.ذ

42- شوقي ضيف، الفن ومناهجه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، ط11، د.ت.

43- صباح عبيد درانيز، الأساليب الإنشائية، وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، 1406هـ.

44- صلاح مهدي الزبيدي، دراسات في الشعر العباسي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1430هـ- 2003م.

45- طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1982م.

46- طه نعمان، محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، 1978م.

47- عباس محمد العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت.

48- عبد الحليم محمد، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية، للنشر والتوزيع، والأعلام، 1397هـ- 1988م.

49- عبد الحميد جيده، الهجاء عند ابن الرومي، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر، 1974م.

50- عبد الأمير علي المهنا، ديوان ابن الرومي، دار ومكتبة والهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ج6.

51- عبد العزيز شرف، أدبيات الأدب الفكاهي الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1992م.

52- عبد الرحمان محمد الجيوزي، السخري في شعر البردوني، المكتب الجامعي الحديث كركوك، العراق، 2011م.

53- عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ- 2008م.

54- عبد الكريم الباقي، دراسة فنية في الأدب العربي، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.

55- عطوان حسين، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ج1.

56- عطوي عابدين فوزي، ابن الرومي شاعر القرية النفسية، الشركة البنانية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

57- عكاري سوزان، السخريّة في مسرح أنطوان المؤسسة الحديثة للكتاب، 1991م.

58- علي بن العباس بن جريح، ديوان ابن الرومي، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ج1.

59- علي بن العباس، ديوان ابن الرومي، منشورات محمد بيضون، بيروت، د.ط، 1423هـ، ج1.

60- عمران الدسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ج1، 2000م.

61- العمري محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل، والتداول إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.

62- فاروق سعد، مع نجلاء الجاحظ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

63- محمد زغلول سلام، الأدب في عصر العباسيين، منشأ المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

64- محمد عبد العزيز الموافي، حركة التجديد في الشعر العباسي، دار غريب، القاهرة، ط6، د.ت.

65- محمد مصطفى أبو شوارب، في أدب صدر الإسلام والعصر الأموي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م.

66- محمد معوض، أبو عيسى، الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث هجري، دراسات ووثائق، الشركة الوطنية، 1390هـ- 1970م.

67- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، 2008م.

68- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار حامد، الأردن، 1433هـ- 2012م.

69- الوقاد، نجلاء حسين، بناء المفارقة في فن المقامات عبد بديع الزمان الهمذاني والحريري، دراسة أسلوبية مكتبة الآداب، القاهرة، 2006م.

المذكرات والمقالات:

1- إيمان طبشي، النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين (ماجيستر)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010م.

2- راجس بن مبارك الدوسري، الزهد في شعر ابن الرومي (دراسة موضوعية فنية)، رسالة ماجيستر.

3- سامية مشتوب، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، رسالة ماجيستر الجزائر، جامعة مولود معري، تيزي وزو، 2011م.

4- سلامي سعاد، السخرية والتهكّم في ملصقات عز الدين ميهوبي، كلية الأدب واللّغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015- 2014.

5- مقال عبد الكريم البوغيش، السخرية في شعر محمد الجواهري، الجامعة الإسلامية، فرع علوم وتحقيقات طهران، إيران 2010.

الفهرس

فهرس الموضوعات

البسملة

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل.....02

الفصل الأول: الأدب السّاخر النشأة والتطوّر

1- نشأة السخريّة وتطوّرها.....15

2- تعريف السخريّة لغة واصطلاحا.....19

3- فنون الأدب السّاخر.....21

4- دوافع وأنواع السخريّة.....24

5- أساليب السخريّة ووظائفها.....26

الفصل الثاني: السخريّة في شعر ابن الرّومي

1- نبذة عن حياة الشاّعر ابن الرّومي.....30

2- أغراض ابن الرّومي الشعريّة.....32

3- خصائص الهجاء عند ابن الرومي.....36

4- أقسام الهجاء الكاركاتيري السّاخر عند ابن الرّومي.....39

5- فلسفة السّخر عند ابن الرّومي.....43

خاتمة.....46

قائمة المصادر والمراجع.....49

فهرس الموضوعات.....57

الملخص

ملخص:

كان العصر العباسي عصرا ذهبيا بامتياز، عرف فيه الأدب تطورا وتجديد في مختلف الجوانب أدّى إلى ظهور العديد من الشعراء من بينهم ابن الرومي.

ظهر في هذه الفترة الأدب السّاخر الذي يعتبر لسان المجتمع في مواجهة الواقع وتناقضاته باستخدام عدة أساليب، يحاول الشاعر الساخر من خلال البحث عن عيوب المهجو الخَلْقِيَة لكي يستغلها ويكبر حجمها أو يصغّرها من أجل الضحك والإستهزاء.

وهذا الفعل يأتي بسبب الظروف القاسية التي مرّ بها الشاعر من حزن ويأس أو شعوره بقبح مظهره، أو نقص فيه، أو عيب خلقي.

الكلمات المفتاحية: الأدب العبّاسي، السخريّة، ابن الرّومي، النص السّاخر.